الفتوحات الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

...-...-...-...

{قد أفلح المؤمنون} الذين يعلمون الحق ويرونه في الوجود، أفلحوا لأن ما زرعوه من إرادة العلم بصدق سيجتنون ثمرته التي هي الحقيقة. {قد أفلح} قضاء الله السابق، لأن الله فياض ويده مبسوطة بعطاء العلم، فالمانع من حصول العلم فيكم من لدنه تعالى هو أنت لا غير فإذا صرت من المؤمنين ممن خبت نار حواسهم وصاروا ينظرون بعين عقولهم لباطن العالَم فالفيض سيمتد لك من ربك.

{الذين هم في صلاتهم خاشعون} كخشوع الأرض حين تستقبل الماء، والصلاة قراءة كلام الله، أي الذين يقرأون كلامه وقلوبهم غير لاهية بل حاضرة تمام الحضور متشوقة للمعاني مريدة للعلم.

{والذين هم عن اللغو مُعرضون} اللغو الكلام بغير الحق، والمؤمن يرى قلبه ويُدرك أثر الكلمة فيه ولذلك يحذر من نوعية الكلمة التي تدخله. لكن الدرجة الأعلى أن كل كلمة فيها حق، فإن كانت لغواً مُضرّاً من وجه فهي لغة نافعة من وجه آخر، والمؤمنون يُعرضون عن وجه اللغو ويُقبِلون على وجه اللغة النافعة "يستمعون القول فيتبعون أحسنه" فالقول له أسوأ وحسن أحسن وهؤلاء يتبعون أحسنه ويُعرضون عن ما سوى ذلك.

{والذين هم للزكاة فاعلون} الصلاة عمل العقل الإيجابي أي الإيجاد والفعل، والإعراض عن اللغو عمل العقل السلبي أي الترك، وبهما تحصل الحقيقة فيه ويرسخ فيه المعنى. الآن، ماذا سيفعل بالمعنى الذي عرفه؟ هنا تأتي الزكاة، أي يزكون أنفسهم ويزكون كل ما في حياتهم ويتبع لهم بحسب الحقيقة التي عرفوها.

{والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون.} ثلاث آيات عن الفرج، لماذا؟ لأن الفرج محل نفخ الروح، كما قال في مريم أنها أحصنت فرجها "فنفخنا فيه من روحنا" وهو كلمة الله وقول الحق. فالفرج يدخل فيه شيء الروح ويخرج منه كلمة الحق. فالفرج في الباطن هو القلب، "نزل به الروح الأمين على قلبك" هذا دخوله، "لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين" هذا خروجه. إذن قوله {والذين هم لفروجهم حافظون} فيما بينهم وبين الناس، {إلا على أزواجهم} الزوج هو

الروح من خارجك، فهو مُعلّمك الحق. {أو ما ملكت أيمانهم} هو المتعلّم منك الذي بايعك لله وأخذ الحق منك. {فإنهم غير ملومين} لا لوم لأن ما سيحدث بينكم سيكون حقاً وتناقل لكلمات الله والمعاني العقلية السليمة، خلافاً للذين "أقبل بعضهم على بعض يتلاومون" مثلاً. كذلك لا لوم لأنه لا إكراه ولا عنف، بل هي علاقة تعلّم وتعليم طوعية. {فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون} مثل قوم لوط كما قال لهم لوط "بل أنتم قوم عادون"، وهم الذين في المثل يأتون الرجال شهوة من دون النساء وهي شهوة الكلام الذي لا يثمر ولا يغيّر ولا يسمن ولا يغني من جوع، الفرج القلب القابل، والدبر القلب غير القابل أو الجانب الحسّي من النفس خلافاً للجانب العقلي الروحي كالذين يلقون ألفاظاً على آذان الأنعام من العوام ممن لا يريد أصلاً الاستماع لهم لكنه يحضر رغبةً ورهبةً من البشر وبناء على عقائد باطلة فلا ينفعه ما يسمعه.

{والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون} الأمانة الحُكم بالعدل والقسط والحق، "تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" "قال رب احكم بالحق" "فاحكم بين الناس بالقسط". العهد الإيمان ولوازم الإيمان العملية، "عهد إلينا أن لا نؤمن" "كلما عاهدت منهم" "منهم من عاهد الله لئن آتانا". فالأمانة حكمك بين الناس، والعهد حكمك على نفسك. {راعون} مراعاة الأحكام بأن تكون بحسب أحكام الله وما قيّدت به نفسك باختيارك. أكبر أمانة أمانة الله، وأكبر عهد عهد الله. كذلك "لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم" فللرسول أمانة تجب مراعاتها، وكذلك مع الرسول عهد "كلما عاهدت".

{والذين هم على صلواتهم يحافظون} مواقيت قراءة القرءان وحضور مجالس العلم مع النبي وصاحب الكلمة الإلهية. تجعلها أولوية ولا تقدّم عليها غيرها إلا نادراً ولضرورة دونها الموت أو ما يشبهه.

{أولئك هم الوارثون} فما سبق صفات تجعل النفس مستحقة للوراثة، فكما أن الجسم له صفات إن كانت له استحق ميراثاً مالياً كأن يكون متولداً من غيره فيكون ولداً فيأخذ نصف التركة مثلاً، فكذلك للنفس صفات إلا أنها اختيارية كسبية وتكون مواريث النفوس بحسب درجاتها في تلك الأعمال.
{الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون} الخلد للعقل، والفردوس العلم الإلهي، لذلك كلمة {الفردوس} سبعة حروف كسبع سموات، وهو العلم الذي يتمم نور النفس السماوية.

جسر: ما مضى وصف {المؤمنون} وهو الجانب الباطني من الإنسان. والمقطع التالي عن الجانب الظاهري للإنسان. لكن بما أن الظاهر لا يُذكَر لذاته في القرءآن إذ لا عبرة بذلك و"لا أحب الآفلين" بل إنما يُذكَر كأمثال لأمور النفس والباطن، فسيذكر آيات تدلّ على كيفية التغيّر لتصبح من المؤمنين، أي بعد أن رسم صورة الكمال بالإيمان في مقطع {قد أفلح المؤمنون}، سيجيب عن سؤال مقدّر وهو: وكيف أصبح من هؤلاء المؤمنين؟ فيقول {ولقد خلقنا}، كما قال في البدء {قد أفلح} لتبيان الرابطة، فقال...

{ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين}:

أوّل معنى هو تذكّر أنك مخلوق، فكما أن جسمك لم يكن ثم صار، كذلك لا تعتبر نفسك على شاكلة واحدة بل قد لا تعلم ثم تعلم، وقد لا تؤمن ثم تؤمن. فارضَ بذلك ولا تعاند كفراً بالتغيير أو بإمكانيته أو بشرفه.

الخلق من شيء. {خلقنا الإنسان} أي الإنسان الكامل "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم". من ماذا خلقه؟ {من سلالة من طين}. فأوّلاً اعرف الطين، ثم اعرف السلالة التي من الطين.

أما الطين فماء وتراب وباجتماعهما يصبحا شيئاً لا هو ماء فقط ولا تراب فقط بل أمر جديد. فالماء هو الروح والوحي، والتراب هو الطبيعة والصور الحسية، بالجمع بينهما يكون القرءان.

أما السلالة من الطين فهي ما تستلّه أي تستخلصه وتستخرجه من الشيء، كسلّ السيف من الغمد. فحتى يبدأ خلق نفسك لابد من أن تستسلّ شيئاً من القرءان من حيث هو {طين} أي من باطنه وظاهره معاً، لكن البداية ستكون من القرءان العربي لأنه المخلوق الظاهر أمامك في المصحف.

{ثم جعلناه نطفة في قرار مكين}:

ما سبق كان على مستوى الخلق وهنا على مستوى الجعل، كما قال "خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور"، كذلك في البدء ستقرأ الكلمات العربية، ثم ستُجعَل تلك الكلمة نطفة في قلبك الذي هو القرار المكين، وبنور الحقيقة الإلهية الكامنة في القرءان ستبدأ نطفة تطورك الروحي. الشرط هنا وصول النطفة الروحية إلى قلبك وليس ما دون ذلك من سطوح وعيك كالذهن والأذن واللسان، ومن هنا ذمّ الذين "لهم قلوب لا يعقلون بها"، وأثبت الذكرى " لمن كان له قلب"، فإن وصلت إلى عمق نفسك حيث يوجد {قرار} وهي نقطة أعمق من السطوح

المتغيرة للذهن والحس، {مكين} وهو مستوى الروح ولذلك وصف به يوسف حين وصل عند الملك "إنك اليوم لدينا مكين" ووصف به جبريل معلّم القرءان والروح الأمين " ذي قوة عند ذي العرش مكين" فإن وصلت نطفة السرّ الروحي إلى هذا القلب الذي هو عرش وجودك ومصدر الأمر والنهي فيك فهو مستقرّ الإرادة، فصرت بذلك ممن "يريدون وجه الله". حينها تنتقل إلى المرحلة التي بعدها. وما بين مرحلة القراءة التي هي الاستلال من الطين ومرحلة النطفة توجد فترة ولذلك فصل بينهما بـ{ثم}. وما بين مرحلة النطفة وما بعدها توجد فترة لذلك فصل بينهما بـ{ثم}. و"ثم" هنا غير "ثم" التي ستكون فيما بعد لأنه فصل بينهما بـ"ثم" مع فاصلة الآية، فتدلّ على فترة أطول، ولذلك لابد من الصبر.

{ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً ءاخر فتبارك الله أحسن الخالقين}:

النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم والإنشاء، ستّة مراحل، وهي ستّة أيام خلق نفسك في العلم الموازية لستّة أيام خلق العالَم في الجسم.

{خلقنا النطفة علقة} النطفة إرادة العلم، ستصبح علقة بتعلّقها باسم ربك فإن كل ما في الحق هو الحق الذي هو اسم الله، "اقرأ باسم ربّك الذي خلق. خلق الإنسان من علق".

{فخلقنا العلقة مضغة} المضغة بداية تكوّن الرأي فيك، لكن رأيك سيكون ضعيفاً وسيئاً في هذه المرحلة وستتعرّض للانتقاد من أجله، نعم قد تجد فيك "مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء" أي بعض رأيك سيكون مبني على الحق وبعضه سيكون باطلاً وبذلك سيتبيّن لك قيمة الرأي وإمكان صوابه وخطأه وسيستقرّ في فهمك الحق منها فقط بمشيئة الله ونصرته لك فالجأ إليه أن لا تعتقد رأياً خاطئاً في هذه المرحلة من التطور العقلي.

{خلقنا المضغة عظاماً} هذه الآراء المبنية على الحق ستتخذها عظاماً أي قواعد لرؤيتك الفكرية للوجود وما فيه.

{فكسونا العظام لحماً} لحم الشيء بالشيء يعني ربطه به فاللحم هو العقل في الأصل، لكن هنا حين يصبح لرأيه لحماً بمعنى رأيك المجرّد سيصبح له صورة أمثال معقولة مستقيمة. مثلاً "الله نور السموات والأرض" هذه عظم، "مَثَل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة" هذه لحمها الذي تكسوه. لذلك لم يعبّر عن اللحم بالخلق بل بالكسوة، لأن الرأي الحقيقي لا يتغيّر جوهرياً بكسوة المَثَل بل يصبح مثل كسوة اللباس للجسم فالجسم لا يتغيّر باللباس وإن كان يغطيه حتى يظهر به للغير، كذلك الرأي المجرّد الذي في نفسك لابد له من كسوة أمثال حتى توصله للناس ممن لا يصل لرأيك إلا عبر المثل، وقبل لك المثل يجعل العقل

زوجاً له باطن وظاهر كما أن الله هو الباطن والظاهر وكما أن العالَم له باطن وظاهر، فبالرأي المجرّد عظمك الباطني وباللحم مَثله الظاهري.

{ثم أنشأناه خلقاً ءاَخر} فصل بـ"ثم" لأن ما مضى كان التطور العقلي داخل نفسك، ثم مرحلة أخرى ونشأة أخرى للحقيقة العقلية هي نشأة القول والبيان، "علّم القرءان. خلق الإنسان. علّمه البيان" فتعليم القرءان سابق على تعليم البيان، تلك نشأة وهذه نشأة أخرى. كذلك هنا، {ثم أنشأناه} أي العقل، {خلقاً ءاخر} هو نفسه لكنه يظهر بصورة أخرى غير صورته المعنوية في النفس وهي صورته الكلامية في الخارج.

{فتبارك الله} كقوله "تبارك الذي بيده الملك" وهو عالَم الظاهر، لأن الإنشاء خلقاً آخر سيكون في عالَم الظاهر والطبيعة.

{أحسن الخالقين} فهذه الآية مختصة بالتعليم الإلهي للنفس، لأن البشر قد يعلّم البشر فلا يكون خلقه أحسن خلق، لكن حيث أن هذه الآية في التعليم الإلهي حيث يتولّى الله تعليم النفس فإن ما سيحصل سيكون تحت اسم {أحسن الخالقين}. من هنا يترك الله النفس تمرّ بمرحلة المضغة غير المُخَلّقة "ليبين لكم" أي يبيّن لكم الفرق بين رأيكم الخاطئ وبين الرأي الصائب بتصويت الله وتسديده حتى لا تغتروا بعقولكم كالذي قال فيه بعد تعليمه "إن الإنسان ليطغى. أن رءاه استغنى" أي استغنى بعلمه وعقله ورأيه فإن هذه الآية بعد ذكر القراءة والتعليم "علّم الإنسان ما لم يعلم. كلا إن الإنسان ليطغى". كل معلّم خالق، لكن الله {أحسن الخالقين}، لذلك لما أرادوا نفي نبوة النبي قالوا عنه "يعلّمه بشر"، كذلك قال إبراهيم لقومه " تخلقون إفكاً" فالبشر قد يخلقون إفكاً وقد يخلقون حقاً له صورة وروح كعيسى "أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله" فعيسى يخلق الطير الحي والكفار يخلقون الإفك والأصنام والرجس من الأوثان وقول الزور.

{ثم إنكم بعد ذلك لميّتون} الجهل موت، "أومن كان ميتاً فأحييناه..كمن مثله في الظلمات"، فكل ظلمة وجهالة موت. فقوله {ثم} يعني حتى بعد بلوغكم درجة العالِمين العاقلين، {إنكم} مع عقلكم هذا وقولكم الصادق، {بعد ذلك} التطور السابق ذكره، {لميّتون} لا تزالون جهالاً في الحقيقة كما قال "الله يعلم وأنتم لا تعلمون" فحتى وهو يعلّمنا قال لنا "أنتم لا تعلمون" فهذا بالنسبة للعلم الذي للعقل، وبالنسبة للإرادة قال "عسى أن تحبوا شيئاً وهو شرّ لكم"، فأثبت موت الإرادة بسوء تعلّقها بما هو شرّ لها وهو موتها. فالعاقل ليس الذي يتأله، لكن الذي يعرف أنه ميّت بين يدي الله على الدوام، لذلك قال "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم" وقال "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"، فنفى المؤمنين بالكلية وأثبت فعل الله بهم "يعذبهم الله بأيديكم". وهنا الفرق

بين العاقل بالله والمفكر الطاغية. العاقل بالله بعد تطوره يعرف موته الأصلي وفقره الذاتي إلى الله، ولو فُتح عليه بعلم الأولين والآخرين فإنه يبقى يرى موته الأصلي وفقره الذاتي. وأما المفكر الطاغية فيعرف ثلاثة أفكار سمجة فيعتقد بأنه مؤهل لأن يكون رب العالمين ويقول "أنا ربكم الأعلى" لأنه يرى ويهدي "ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد".

{ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون} بعد المرور بمرحلة الموت السابقة، يُعطى المؤمن سرّ القرءان والكتب السماوية والأمثال الطبيعية فتُكشَف له وتظهر حقائقها له وهو يوم القيامة حيث يُبعَث في عالَم النور. فيبعث الله نفسه في عالَم النور الأعلى، هذا أمر سيشهده وهو حقيقي غير مجازي.

{ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنّا عن الخلق غافلين}:

حين يستنير سينظر وسيجد عالَما جديداً. {ولقد خلقنا} هنا ذكر "لقد" مرّة أخرى، فهذا مقطع ثالث في السورة. بدأ بـ"قد أفلح المؤمنون"، ثم "لقد خلقنا الإنسان"، ثم الآن {ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق}.

{فوقكم سبع طرائق} الطرائق جمع طريقة وهي السماوات والمذاهب. فهنا ثلاثة أمور، السماء والطريقة والمذهب. المعنى، عند المستنيرين توجد من لدن الله أكثر من طريقة وأكثر من مذهب وكلها سماوية. فالطريقة هي الذكر، والمذهب هو الأمر، وكلاهما من السماء. هذه أيضاً علامة على الاستنارة الحقة، فإن أهل الباطل إذا ظنوا أنهم عرفوا شيئاً ينتهون إلى التوحيد الشكلي والعددي، كفرعون "ما أريكم إلا ما أرى" فهو رأي واحد أي طريقة واحدة ومذهب واحد وشيء واحد وشيخ واحد "لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين". فيوحّدون الطرائق والخلائق بدلاً من توحيد الخالق وتعديد الطرائق لتناسب مختلف الخلائق. السبعة عدد يشير أيضاً إلى الكثرة بمعنى أن أنواع النفوس المختلفة ستجد لها طريقة ومذهباً سماوي الأصل يناسبها حتى تعرج فيه إلى ربّها. ولذلك قال بعدها {وما كنّا عن الخلق غافلين} فإن الغافل عن الخلق باختلافهم وتنوعهم هو الذي يفرض طريقة واحدة للكل، كالطبيب الغافل الذي يصف دواءً واحداً لجميع المرضى بدون مراعاة كل واحد وما يناسب حالته الخاصة. أما الخالق تعالى فقد جعل طرائق على عدد أصناف نفوس المستنيرين من الخلائق، لأنه ما كان غافلاً عنهم وعن ما يناسب خلقهم وتركيبهم وظروفهم.

{وأنزلنا من السماء ماءً بقَدَر فأسكنّاه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون}:

{وأنزلنا من السماء ماءً} الوحي، مثل الماء لا لون ولا شكل محدد له بل يتلوّن ويتشكّل بحسب الآنية التي تستقبله لكن هو ماء على أية حال يحيي به. ذكر الماء بعد الآية السابقة حتى يبيّن مَثَل الوحي ومناسبته لمختلف الخلائق الذين جعل لهم طرائق لبلوغ هذا الماء الروحي.

{بقَدَر} فالماء عند الله لا قدر له، لكن حين ينزل يكون نزوله {بقَدَر}، فليس مطلقاً إذن ولذلك يناله ما ينال كل ما له قَدَر محدود من حدود. فهذا القرءآن مثلاً له قَدَر، كمّي فعدد آيته فوق الستة آلاف آية، وكيفي فهو عربي وله ألفاظ محددة وأمثال معدودة وقصص المرسلين لم تستوعب كل الرسل "منهم مَن لم نقصص عليك" وذكر فيه العنكبوت ولم يذكر الأخطبوط، وقس على ذلك بقية الحدود. وهذا بديهي، لأن النزول على ما له قدر لا يكون إلا بقَدر يناسبه، وإلا لتفجّر القابل، كما حاول موسى رؤية ما لا يطيقه "فجعله دكّا وخرّ موسى صعقاً"، فالقرءان نزل على قلب النبي وهو عبد فله حد فلا يكون إلا بقَدَر.

{فأسكنّاه في الأرض} أرض قلب النبي، "على قلبك لتكون من المنذرين" "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب". ثم سكن القرءان في الأرض ظاهراً أيضاً حين كُتِب في الصحف، " رسولاً من الله يتلو صحفاً".

{وإنا على ذهاب به لقادرون} كقوله للنبي "لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك". القرءان روح والروح نزّاعة إلى موطنها الأعلى، لذلك قال النبي عنه أنه "أشدّ تفلّتا من الإبل في عقلها" ثم إن وجوده عندنا في الأرض لا يعني سيطرتنا عليه واستغنائنا عن الله به، لذلك ذكّرنا هنا بإمكان ذهابه، لدوام الافتقار ومنع الطغيان به، كالذين أخذوا كتاب الله ونسوا ذات الله. هذه الآية تابعة لنفس أصل "بعد ذلك لميتون" السابقة.

الماء يدلّ على أصل الوحي الذي هو الروح، ويدلّ بالنسبة للقرءان على فهم القرءان فإن فهمه ووجدان حقيقته وأثره في القلب والفتح فيه والعروج به إنما هو بروح حية ينفخها الله ولا تتعلّق بذات المصحف العربي المادي وأصواته وأشكاله التي لا تغني من دون الله شيئاً، فلا يتخيّل إنسان أنه ينال حقيقة القرءان بدون الله تعالى وقدرته الفعالة الحية فيه.

{فأنشأنا لكم به} بذلك الروح القرآني الغيبي، كما أنشأ بالماء في الظاهر.

{جنّات} هي الكلمات العربية للقرءان. {من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون} هنا ذكر "تأكلون" خلافاً للآية التي بعدها "للآكلين". هنا صيغة فعل "تأكلون"، بينما التي بعدها صيغة اسم "الآكلين"، لأن النخيل والأعناب والفواكه الكثيرة أمثال على الآيات العملية، كالأحكام بأنواعها، فمنها أحكام الإسلام التي تميّز بين المسلم والمجرم وهي تنخل أي

تميّز وتنقي طيب الأمّة من خبيثها، ومنها أحكام كالأعناب وهي الأحكام التي للألباب كالأمر بذكر الله والفكر في الخلق والدعاء فهذه أعمال للألباب وتقوى القلوب كالمناسك أيضاً. ولهذه الأحكام موضوعات ودرجات كثيرة. والإرادة تتغذّى بها وتنمو وتتقوّى بتفعيلها.

{وشجرةً تخرج} بنفس الماء السابق. {من طور سيناء} سيناء وسينين كالأنبياء والنبيين، فسيناء الأنباء، وهي الأخبار الغيبية الكاشفة عن الأسماء والأمثال العالية، فهذه الآيات العلمية كما أن السابقة تتعلّق بالآيات العملية. {تنبت بالدهن} االزيت الذي يوضع على الرأس من خارجه من الزيتونة التي "لا شرقية ولا غربية" وهي مثل على مصدر نور السموات والأرض الذي هو اسم الله تعالى وتقدّس الذي هو حقيقة كل العلوم لأنه الوجود الحق، فالشجرة هي الكلمة "مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة..مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة" فالشجرة كلمة كما أن الجنّة كلمة. هنا هي شجرة {تنبت بالدهن} الذي يوضع على خارج الرأس فهي الأمثال لأنها التي تُعقَل بظاهر العقل، {وصبغ} هو الحقائق المجردة وتأويل الأمثال لأنه الذي يدخل لباطن العقل. {للآكلين} اسم ثابت كالعقل الثابت، بينما في الآية السابقة "منها تأكلون" بالفعل المتغيّر لأن الإرادة تتعلّق بالمتغيرات والمستوى الأدنى من العالَم، بينما العقل يتعلّق بالثوابت والمستوى الأعلى من العالَم. فالأنباء دهن أمثال وصبغ حقائق.

جسر: الناس إما عالِم وإما متعلّم وهم الذين يعقلون. وإما عوام وهم الذين يحملون صور الألفاظ والأفعال الشعائرية والرموز ولا يعقلونها "كمثل الحمار يحمل أسفارا"، "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام". فبيّن في الآيات السابقة حال العلماء، وفي الآية التالية بيّن حال العوام فقال...

{وإن لكم في الأنعام لعبرة} العبرة من العبور "إن كنتم للرؤيا تعبرون" لأن الرؤيا لها ظاهر وباطن لابد من عبور الظاهر للوصول إليه، كذلك هنا الأنعام يحملون الظواهر، وهم عوام الأمّة كحفّاظ ألفاظ القرءان والقائمين بصور الشعائر، فهؤلاء كالأنعام. ينبغي التعامل معهم برعاية كلوا وارعوا أنعامكم"، وينبغي أيضاً الاعتبار فيهم فإن فيهم عبرة قطعاً كما تنصّ الآية.

{نُسقيكم مما في بطونها} في بطونها وليس من ظهورها، كما أن الرؤيا لا تسقي العلم بظاهرها بل بعد العبور لباطنها. كذلك مع العوام. فلأنهم يحملون الظواهر، فبعد العبرة يمكن الاستقاء من تلك الظواهر بأخذ ما في بطونها.

{ولكم فيها منافع كثيرة} كقوله مثلاً في آية أخرى "تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس"، أثقالكم هي كتبكم وأقوالكم "إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً"، فالعوام يحملون

ذلك وينقلونه عبر الزمان والمكان ويجتهدون في الحفاظ على صورته وبذلك ينفعون العلماء إلى الأبد إذ تبقى كتبهم وطرائقهم محفوظة من بعدهم فلا ينقطع عملهم بتوارث الناس لها وذكرها. ومنافع أخرى كثيرة غير ذلك.

{ومنها تأكلون} فلابد أن يُفتَح على العامّي بشيء من الحكمة حتماً، ولو مرّة في العمر فارقبه واستمع إليه وستجد كلمة يأكلها عقلك بواسطته. قوله {تأكلون} بصيغة الفعل يشير إلى أن العوام ينطقون بالحكمة المتعلقة بالأمور المتغيرة والنسبية والدنيا عادةً، ذلك لأن أقصى ما تبلغه عقولهم عادةً هو هذا المستوى.

{وعليها وعلى الفُلك تُحمَلون} يحمل علم العالِم إما إنسان وإما جماد كالصحف ووسائل الكتابة. فقال {وعليها} أي على الأنعام وهم العوام الذين يحفظون كلام العالِم، {وعلى الفُلك} وهي الصحف. تأويل آخر: الأنعام كل الصحف والفلك هي نظام الطريقة، لأن الصحف ميتة لا تسمع ولا تعقل لكنها تستقبل الكلام فقط فهي كالأنعام أيضاً، ولأن الفلك يمثّل ما يدور بانتظام وفي مدار معين "كل في فلك يسبحون" وكما سنرى في القصّة التالية بيّن مَثَل صناعة الفلك وهو نظام الطريقة الخاصة بالعالِم. فيحمل روح العالِم إذن صحفه وطريقته.

{ولقد أرسلنا نوحاً} صانع الفلك، مهندس السفينة. أي شيخ الطريقة بالروح الحي والذي يأذن الله له بذلك. يرسل الله مَن يظهر فيه تأويل مَثَل نوح حين يريد إنشاء طريقة جديدة في الأرض. ونحن الآن في هذا الزمان.

{إلى قومه} المرحلة الأولى من قصّة نوح هي دعوته لقومه، والمرحلة الثانية صناعة الفلك والمرحلة الثالثة ركوب الفلك والطوفان والمرحلة الرابعة النزول والاستقرار. نحن الآن في المرحلة الثانية حسب التأويل. إلا أن هذه الآية تبيّن المرحلة الأولى.

{فقال يا قومِ اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون} فجمع لهم العلم والعمل وما بينهما، فالعلم التوحيد والعمل التقوى المبنية على العلم. العلم إثبات ونفي، {اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} العبادة هنا إثبات الله عقلاً، والنفي نفي ألوهية غيره لأن الله لا غير له إذ لو كان له غير ولو بالفرض لتعدد الوجود الحق الواجب بذاته لذاته وهذا مستحيل. العلم بحد ذاته عبادة، أي العلم بالله على أنه الله هو عبادة لله، لأن تعقّل وجوده تعالى يعني عمل عقلي بالتوجّه إليه وصنع صورة عقلية له أو مفهوم عقلي له أن نظر عقلي فيه وكل هذه أعمال عقلية. هذا بالنسبة للعلم وهو الخبر. ثم ذكر ما بين العلم أي الخبر والعمل أي الحكم وهو الاستفهام والسؤال، فإن الكلام خبر واستفهام وأمر، وقال نوح بالثلاثة على الترتيب من الأكثر عقلاً وهو الخبر إلى

الوسط إلى الأمر. فقال {أفلا} والألف استفهامية فهي سؤال. ثم قال {تتقون} فأشار إلى العمل والأمر لكن بصيغة السؤال والاستفهام وهو ألطف من الأمر الصريح، فإن قال "اتقوا الله" فهذا أمر صريح بالتقوى، لكن إذا قال {أفلا تتقون} فهو سؤال والسؤال يتضمّن الأمر لكن بلطف، فبدأ معهم من هذا المستوى الألطف، وبعد ذلك سيأمرهم نوح مباشرةً وتصريحاً مثل "استغفروا ربكم"، فسيجمع بين الخبر والسؤال والأمر، كما أن اسم نوح ثلاثة حروف فجمع أصناف الكلام الثلاثة بالروح. الأصل في الدعوة أن تكون خبراً مجرّداً، فإذا عقله الإنسان بنى عليه العمل. فإن لم يعقل جاءه السؤال والتقرير بالاستفهام. فإن لم يجب جاءه الأمر تصريحاً حتى تتم الحجّة والبيان ولا يتعذّر بعدم وضوح الدعوة.

{فقال الملأ الذين كفروا من قومه} هنا ثلاث طبقات. طبقة {قومه} هي العامّة، ثم من بين هؤلاء توجد فئة {الذين كفروا} وتوجد فئة غير الذين كفروا والذين قالوا هنا هم تحديداً الذين كفروا، ثم من بين هؤلاء توجد فئة {الملأ} وهم السادة والكبراء والذين لهم الأمر الديني والسياسي والمالي "إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك". تركيب الآية {الملأ الذين كفروا من قومه}، فبدأ من فوق ونزل، للدلالة على أن كونهم من الملأ هو الذي جعلهم يميلون إلى الكفر وهم يرون أنفسهم فوق عموم القوم ويرون استغلال واستعباد وتجهيل عامّة القوم كما قال نوح لاحقاً في دعائه " واتبعوا من لم يزده ماله وولاده إلا خساراً" مثلاً، كأبي لهب. هؤلاء الذين قدّموا الدنيا على الآخرة، والمال على العلم، والحس على النفس.

{ما هذا إلا بشرٌ مثلكم} كلمة حق، "أنا بشر مثلكم"، لكن قولهم {ما هذا إلا} تقييد باطل، أي حصره في البشرية المثلية باطل لأنه بشر مثلهم من وجه لكنه ليس مثلهم من وجه آخر وهو وجه "يوحى إليّ" أو كما قالت الرسل "إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على مَن يشاء من عباده". فما أدراهم بما يجري في باطن هذا البشر وقد جزموا من قبل بأنهم أهل حس وحكم بالظاهر؟ هذا بحد ذاته يدلّ على تحكّمهم وقصدهم الخاطئ. ستظهر مثل هذه الآية في أهل الله والقرءان من أهل الروح والإذن الحي، حيث سيقولون عن الولي الخليفة حين يظهر بأنه {بشر مثلكم} يعني يا عامّة المسلمين ما هو إلا واحد منكم، ولاحظ أنهم لم يقولوا "بشر مثلنا" بل قالوا {بشر مثلكم} فكشفوا بهذا أيضاً أنهم يعتبرون هؤلاء الذين يخاطبونهم تحتهم، كما يفعل الأمراء والشيوخ والأغنياء من الطاغين في الأمّة بنظرهم باستعلاء على عموم المسلمين، والله لن يُظهر الخليفة إلا من بين المُستَعبَدين من بني إسرائيل.

{يريد أن يتفضّل عليكم} هذا إظهار لطريقة تفكير ومقاصد الطاغين، فهم يريدون التفضّل على الناس والعلو في الأرض ويتوهمون بأن كل الناس مثلهم وعلى نفس سفالتهم. فكيف

كشفوا عن إرادة نوح والإرادة والنية أمر خفي وهم يزعمون بأنهم يحكمون بالظاهر حصراً فهل شقّوا عن قلبه ليعرفوا ما الذي يريده بالضبط؟ فإن كانوا أهل كشف ويقولون بالعلم الباطني الغيبي، فلماذا أنكروه على نوح؟ وإن كانوا لا يقولون به، فكيف عرفوا مقصد نوح ومراده الخفي؟ تحكّم محض وقول بأي باطل فقط لتكسير همّة الناس باتباع نوح حتى يبقوا أتباعاً عمياً لهم.

{ولو شاء الله لأنزل ملائكة} سيقال مثل هذا للخليفة في هذه الأمّة حين يأتي بأمر بحسب الروح التي نفخها الله فيه والوحي الأعلى الذي من الله له والذي فوق مستوى الوحي الملائكي "ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء" والرسول إما من الملائكة وإما من الناس "الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس"، بالتالي يوجد كلام بوحي وكلام من وراء حجاب يسبقان ويعلوان على الوحي الذي بواسطة رسول ملائكي أو إنساني. فهؤلاء سيقولون للخليفة الذي هو نوح زمانه، {لو شاء الله لأنزل ملائكة} يعني في بيان ما يقوله هذا الرجل، وتأويل آخر: لأنهم كذبوا على الناس وأوهموهم بأن النبي والرسول لا يكون إلا معصوماً فجعلوه كالملائكة حسب اعتقادهم، فحين يرون نوح زمانهم ليس معصوماً بحسب عقيدتهم وما يظهر لهم ولا هو يدعي ذلك أصلاً سيقولون {لو شاء الله لأنزل ملائكة} كما قال الله عن الداعي في قرية سورة يس "ما أنزلنا على قومه من بعده جنداً من السماء وما كنّا منزلين" فكل ما يحدث في العالَم هو بالنسبة لله إنزال وليس معنى الإنزال التغيّر الحركي من فوق إلى تحت بالمعنى المادي لذلك حصراً. تأويل ثالث: سينكرون ما يقوله نوح زمانهم بحجّة أن الملائكة لم تنزل به في القرءان أي هو يقول كلاماً ليس في نصّ القرءآن الذي نزلت به الملائكة وهم يرون أن القرءان الذي بأيديهم حصر كل علم على طريقة اليهود الذين يقولون "لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم" و "إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا"، فسينكرون عليه لمخالفته الكتاب بزعمهم.

{ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين} سينكرون عليه لمخالفته الروايات والآثار والسنة المنقولة عن معلميهم الأولين وآباء دينهم ومذهبهم وسلاسل طرائقهم، أي لأنه خالف السلف الصالح بحسب بعض التعبيرات. أيضاً هنا افتراض بأن ما سمعوه من آبائهم الأولين وما بلغهم عنهم قد أحاط بكل العلم وجمع كل شيء ويد الله مغلولة عن ما وراء ما قاله آباؤهم وما بلغه عنهم مما قالوه، وكل هذه كفريات. ثم ما أدراهم أنه قد بلغهم كل شيء عن أولئك الآباء؟ ثم ماذا لو كان ما بلغهم يخالف العقل والهدى؟ ماذا لو جاء أمر هو أعقل وأهدى مما بلغهم وورثوه؟ ثم ألم يسمعوا أن هؤلاء الآباء أنفسهم كانوا في زمنهم بالنسبة لأهل عصرهم قد خالفوا آباء أهل

عصرهم واحتجّ عليهم أولئك بنفس ما يحتجّون هم به الآن على أهل الوحي الجديد والعقل الحي.

{إن هو إلا رجل به جِنّة} فطعنوا في شخصه بجعله مجرّد بشر لا روح له، ثم طعنوا في إرادته، ثم طعنوا في دعوته بمخالفته مشيئة الله وكتابه، ثم طعنوا في دعوته بمخالفته سنّة الآباء الأولين والسلف والآثار الواجبة الاتباع. فلمّا فرغوا من كل ذلك لم يجدوا شيئاً يحكمون به عليه إلا أنه {رجل به جِنّة} من الجنون أو الجن، فبعضهم سيحكم بأن ذهنه في خلل، وبعضهم سيحكم بأن شيطاناً ركبه وتنزّل عليه. وقد وقع لي كل ما مضى بحمد الله وصدق الله.

{فتربّصوا به حتى حين} انتظروا حتى يموت ونتخلص منه، أو انتظروا حتى يظهر أثر جنونه عليه تمام الظهور، أو انتظروا حتى ينقلب عليه شيطانه ويجعل يقتل نفسه أو يجرم.

{قال} نوح.

{ربِّ انصرني بما كذّبونِ} أي عاقبهم بأن تجعلهم مجرّد بشر ماديين، واجعل إرادتهم عاجزة ذليلة، واقهرهم بمشيئتك الغالبة، وأنزل بهم ما لم يسمعوا به ويتوقعوا حدوثه لهم، وأغرقهم بكرب يمحو عقولهم، واجعلهم ينتظرون الفرج فلا يجدونه. جزاءاً وفاقاً على ما قاموا به معي.

{فأوحينا إليه} هذا أول النصر.

{أن اصنع الفُلك} هذه المرحلة الثانية من قصّة نوح.

{بأعيننا ووحينا} عينه العالَم الخارجي، وحيه كلامي اللساني، فاصنع الفلك من الاثنين معاً، بحقائق وأمثال العالَم والقرءان. تأويل آخر: {أعيننا} تشير إلى ذات الله، {ووحينا} تشير إلى كلمات الله، فاصنع الفلك وهي الطريقة من علم يتعلّق بالذات وعمل يتعلّق بالكلمات.

{فإذا جاء أمرنا وفار التنور} لها ألوان بحسب نوح كل عصر، وبالنسبة لي الأمر استقرار اجتماعي والتنور استقرار اقتصادي.

{فاسلك فيها} فهي الطريقة التي يُسلَك فيها الناس.

{من كل زوجين اثنين} كما آخى النبي بين المؤمنين بعد الهجرة، "ثاني اثنين إذ هما في الغار". فالنبي يعقد بينهما بالولاية ويجعل بينهما رابطة روحية ومرآة ليرى كل واحد نفسه في مرآة صاحبه. الأكمل المزاوجة بين رجل وامرأة من المؤمنين، حتى تكون زوجية ظاهرية وباطنية معاً.

{وأهلك إلا مَن سبق عليه القول منهم} فرابطة الدم بدون قابلية العلم لا قيمة لها.

{ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرقون} الصبر على ظلم الأهل له حد، والآية تبيّن الحد الأوسط، فما بين عالِم لا يبالي بأهله وما بين عالِم يتعلّق بهوس بأهله حتى إن كفروا بالله وبه، جاءت الآية بالحد الأوسط وهو الصبر عليهم والدعاء لهم ما لم يأتِ وقت الركوب، بعد ذلك انتهى الأمر.

{فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك} جماعة جديدة بإمامة نوح. "كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه". والمعية تتمّ بالبيعة، "رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة"، رجال ونساء "فبايعهن واستغفر لهن الله".

{فقل} في أول خطبة في الجماعة الجديدة في الطريقة الجديدة، وكذلك في أول صلاة تقيمها لك ولهم.

{الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين} كما قال موسى حين أراد الفرار من عند آل فرعون "رب نجني من القوم الظالمين" فلما استقرّ عند الشيخ الكبير قال له الشيخ "نجوت من القوم الظالمين". كذلك هنا مع نوح، فإن هذه الآية تعبّر عن المرحلة الثالثة وهي الركوب في الفلك بعد هجرة الناس من بلاد الظالمين وانتمائهم إلى الجماعات الضلالية والمبتورة عن الله تعالى والروح الحية والعقل الحق.

{وقل} في دعائك بعد الحمد، كما أن سورة الفاتحة فيها حمد ثم دعاء، كذلك هنا فإن نوح يصلّي له ولمن معه، ولاحظ الصلاة الحية التي أقوالها بأمر الله تعالى.

{رب أنزلني مُنزلاً مباركاً وأنت خير المُنزلين} وهذه إشارة إلى المرحلة الرابعة بعد ذلك حين ينزل ويستقرّ نوح مع من معه. فهذا الدعاء سيفتح بإذن الله لنوح منزلاً ينزل به هو ومن معه حتى يحيوا حياةً ربانية روحانية في الأرض المقدسة من الظالمين وهي أرض الله الواسعة والحرة.

{إن في ذلك لآيات} وقد ذكرنا بعضها تأويلاً.

{وإن كنّا لمُبتلين} ابتلى قوم نوح بنوح، وابتلى نوح بقومه وابتلى أهل نوح به، وهكذا ابتلى الكل بالكل حتى يظهر ما في النفس ويختار كل واحد مصيره بحسب عقله.

...

قالت: زمان او من فترة هكي سمعت من د. محمد شحرور قال ان لما الله تعالى يذكر اي اية فيها اشاءة مثلا يعذب من يشاء .او يعز من يشاء او يذل من يشاء .اي اية ،الاشاءة هنا من الانسان او جاية من الانسان مو من الله !! هل كلامه صحيح. بس نفس الوقت قعدت نقول لو الاشاءة جاية من الانسان كيف الانسان يشاء او يريد ان يعذب نفسه يعني مفيش انسان يحب يعذب نفسه !!

قلت: أحياناً يصح هذا المعنى وأحياناً لا.حسب الآية. ثم مشيئة الإنسان أصلاً من مشيئة الله "ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين".

...

قالت: السلام عليكم أخي..كيف حالك؟؟ أتمنى انك بخير..علماء الأسرار يقولون أن تكرار قراءة سورة الإخلاص بأعداد كبيرة جدا (مثل 7000 مرة في اليوم) يفتح بوابات العالم الآخر و تكشف أسرار لا تخطر على بال بشر و فيها تصريفات لا تحصى مثل أهل الخطوة..هل التكرار بهذا العدد فيه خطورة لأنه يقال أن الكشف قد لا يتحمله العقل فيصاب بالجنون؟؟ كما يقولون أن هذه السورة لها خدام من الجن المسلم؟؟ هل هذا الكلام صحيح..حبيت أعرف رأيك بالموضوع

قلت: قراءة القرءان خير عظيم والتدرج في العبادة ضروري خدام وغير خدام لا أدري، لكن القرءان له ملائكة وليس جن والكشف نعمة إلهية وليس نقمة يحذرها الإنسان.

قالت: الإشكال في الإفراط في الذكر بأعداد كبيرة جدا يعطي طاقة نورانية قوية جدا تؤثر بشكل كبير على النفسية و قد تكون مدخل للشيطان للإحساس بالعجب أو التكبر..أو تكون مدخل للفتور عن العبادة بعد الشعور بالتعب أو الملل. أظن الأسلم لا إفراط و لا تفريط.

قلت: الأحسن عدم الإحساس بالعجب والتكبر أصلاً بالوعي أن كل حسنة فينا فهي من الله. العجب قد يكون بمجرد الصلوات الخمسة، عند الذي في قلبه بذرة العجب. وأما عن الفتور، فلذلك قلت التدرج. وأيضاً من الجيد للإنسان أن يعمل ببعض هذه الأعمال الكبيرة ولو مرة واحدة في حياته.

...

قالت: .. عندي سؤال حيرني. (كيف أعرف نفسي)؟

قلت: اعرف ربك تعرف نفسك. "نسوا الله فأنساهم أنفسهم"

قالت: كيف اعرف الله .. اذا كان السؤال في محله. بالصلاة.

قلت: قلل من اهتماماتك الدنيوية، اللهم إلا أمور معيشتك الضرورية وبر الوالدين وشيء من الصحبة الحسنة. ثم اقضِ كل وقتك ما استطعت بذكر الله، وقراءة القرءان، والصيام

والصوم عن الكلام الذي لا داعي له. واقرأ كتبي. واقرأ كتب الشيخ محيي الدين ابن عربي وجلال الدين الرومي، إن استطعت.

ثم قالت:.. عندي سؤال هل نورانية النطق من ذات الكلمة أم من حالة الناطق وهل الكلمات لها أثر على الوجود ذاته ويستجيب لها بصورة خاصة بحيث لو شخص لا يعلم معنى كلمة معينة ونطق بها على اية حال هل يستجيبُ له الحق يعني استاذ.. العقل الإلهي كيف يتعامل معنا وكيف نتعامل معه.. ربما اذا تمعنت في مقال الصلاة أكثر اجد الجواب ولكن سالت على أية حال جزاكم الله خيرًا ا..

قلت: للكلمة نورانية وللناطق نوارنية. فإذا اجتمعا تعاظمت النورانية.

قالت: .. ما افضل عبارة استعملها للتعبير عن الامتنان اذا وضحت لي شيء او اجبتني في مسألة.

قلت: ادعيلي بظهر الغيب وأنا أسعد الناس لا تشكرني ولا تكتب شيء إذا وضح الجواب وحبيت تنهي الحوار فاكتب لي "وضحت" أو "تمام" أو أي عبارة مشابهة، لكن تكرمني لو ما تشكرني ولا تلقبني بألقاب تفخيم فأنا أخ من إخوانك في الدين والله قسم الأرزاق العلمية بيننا حتى نعطي بعضنا البعض ونشكره هو سبحانه.

قالت: وضحت أخي.

فأعجبني ذلك.

...

قال: ساعة من القراءة، خير من ساعة من القرءآه. هو الكلمة التانية ليها معني، ولا انت اتلغبط، ولا قاصد تكتبها كده، لانه الأولى عن حب فبتكون بتركيز والثانية عن واجب فبتكون سريعة مش بتاخد بالها من التفاصيل لأنها عايز تخلص قراءة؟ كاتبها أنت في "الأقوال الثانية ص ٢٥٧" علشان لو كاتبها غلط متدورش عليها كتير علشان تصلحها.

قلت: في كتبي أخطاء إملائية حتماً لأني أكتب مرة واحدة بدون مراجعة ولا تصحيح. القرءآه ليست كلمة. بالتالي هي خطأ. المقصود أن الساعة الكمية من القراءة تختلف من قراءة لأخرى بحسب كيفية ونوعية القراءات المختلفة. فالعبرة ليست بكمية زمن القراءة، لكن بنوعيتها. فيها تنبيه على أن العبرة ليست بفعل القراءة ذاته، ولا بكمية فعله.

قال: أيوة عارف ان فيه اخطاء إملائية، انا بس دي لفتت انتباهي علشان اتكررت يعني فعلشان كده سألت. وكنت أنت كاتب برضو حاجة "إذا كتبت فلا تنظر فيما كتبت. وإذا قرأت فلا تذكر ما قرأت. لا تحسب أفكارك ولا تعد كلماتك، ولا تحصي كم كتابا قرأت، ولا كم درسا سمعت. اجعل كل هذه الأمور تغيض ثم تفيض، اجعلها حرة مطلقة..." فعارف انك مش بتراجع. وعندي سؤال: ايه ايه نوعيات القراءة، انا معرفش غير القرءاة السريعة والقراءة العادية. وايه الفرق بين انواع القراءات؟

قلت: راجع عمل (القراءة) في أعمال الطريقة الثمانية وستجد تفصيلاً. وستجد في ثنايا الكتب كثيراً عن القراءة.

قال: طب انا عندي مشكلة وكنت متردد اسأل عليها، دلوقتي أنا بيني وبين نفسي بحب سيدنا ابراهيم اكتر من سيدنا محمد وشايف أنه أفضل الأنبياء وسيدنا محمد ثاني واحد بعده، أحل المشكلة دي ازاى؟

قلت: تحلها بطرق أولها لا تقول من أول واحد ومن ثاني واحد. ثانيها، أنت علمت عن إبراهيم من قرءان محمد. ثالثها، محمد هو الاسم الجامع لكل النبيين، فإبراهيم على الحقيقة هو اسم من أسماء محمد. حبك لإبراهيم هو في الحقيقة حب لمحمد في مظهر مقيّد.

قال: انا عندي هاجس بقاله أكتر من ٣ سنوات في الغالب، مش مبني على أي شيء غير انه شعور مش عارف أنفيه او اثبته. عندي شعور اننا دلوقتي بنتحاسب والحياة اللى احنا عايشنها دي هي الكتاب بتاعنا اللى احنا بنقرأه، وان القيامة قامت من زمن بعيد. يعني الرسالة اللى انا بكتبهالك دلوقتي انا كتبتها في حياتي اللى انا عشتها، ودلوقتي أدراكي لإني بكتبها هو لأن بقرأ كتابي دلوقتي امام الله وبينبئني بأعمالى وبتحاسب. أتمني اكون عرفت اوصل الفكرة بشكل مفهوم. دلوقتي الفكرة دي هل تقع في من دائرة الإمكان؟ إن وقعت ضمن دائرة الإمكان فسيبني أفكر فيها ومتقوليش هي ممكنة ليه. إن كانت الفكرة مستحيلة أصلا، فمستحيلة ليه؟ انفيها ليا لأني تعبت من عدم قدرتي على اثباتها او نفيها. وعلشان لو مستحيلة فابطل افكر فيها واشغل نفسي بحاجات تانية. بس برضو انا لو عرفت انها حقيقة او لا هستفاد ايه؟ ما هتكون حصلت وانتهت هل هبطل اسعي؟ ما كوني بطلت سعي هيكون حصل وانتهي برضو وهكون بتحاسب علي الركود. طب لو كانت فكرة غلط مفروض اعمل ايه ساعتها؟ ما هستمر في اللى بعمله عادي، هو سؤال او فكرة ليهم قيمة اصلا او فائدة؟ بس انا كتبت ده كله همسحه! حصل خير.

قلت: الفكرة باطنياً صحيحة وظاهرياً لسا ما جا وقتها. نعم، باطنيا كل ما ذكره الله عن القيامة هو قائم الآن. "الساعة قائمة"، وليس فقط ستقوم بل قائمة بمعنى الآن والمستقبل معا. ظاهرياً، الفكرة خطرة، لأنه بكل بساطة لم يقم كل الناس لرب العالمين وتقوم القيامة الكبرى بالمعنى المعروف. اجمع بين رؤيتها باطنياً وانتظارها ظاهرياً وتكون في السليم إن شاء الله.

قال: كنت سمعت في خطبة الجمعة اللى فاتت ان التحيات اللى احنا بنقولها في الصلاة دي كانت حديث الله مع النبي في المعراج. وكان بيقول ان النبي قال: التحيات لله والصلوات الطيبات. الله رد عليه : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. النبي قال: السلام "علينا" وعلى عباد الله الصالحين. دلوقتي كنت بصلي فلما وصلت للجزء ده جيه في بالي سؤال، قلت اسئلة علطول علشان منساش. لما احنا بنقول في التحيات "السلام علينا" ده معناه نبوة، وإن كل واحد منا نبي؟ زي مثلا لما بنقرأ القرءان، او نقول دعاء النبي كان بيقوله. ولا دي نقرة ودي نقرة.

قلت: "السلام على مَن اتبع الهدى" وكل أتباع النبي لهم حظ من ميراث النبوة "العلماء ورثة الأنبياء".

...

قالت: ..عندي سؤالين فالبوست الأخير الفاتحة [الحمدلله آية منزلها الأول الأدني والرحمنة آية منزلها الثاني الأوسط والمملكة آية منزلها الثالث الأعلى] ما سبب ترتيب المنازل من الأدنى للأعلى وليس العكس؟ وما الفرق بين الموطن والمنازل؟ في سياق العوالم والموطن والأعمال ترابط واضح أما المنازل ما فهمتها بشكل كامل.

قلت: الترتيب: من الأدنى للأعلى لأننا واقعياً نسير من عالَم الفناء إلى عالَم البقاء. الموطن من توطن يعني الأصل الثابت للنفس، هو الوطن الأصلي لنا. المنزل مكان النزول، فنحن "لله"، ثم نزلنا إلى الدنيا والبرزخ والآخرة، "إليه راجعون". فموطننا في الله، ومنازلنا هذه العوالم. ولذلك قال "ارجعي إلى ربك راضية مرضية" فلم يثبت لها الرضا إلا برجوعها لربها لأنه موطنها الحق، ثم بعد ذلك قال "فادخلي في عبادي" (وهذه توازي "صراط الذين أنعمت عليهم"-"أولئك مع الذين أنعم الله عليهم")، ثم "وادخلي جنتي" وهي المنزل الأخروي "أذلك خيرٌ نُزُلاً"، "ذلك نزلهم يوم الدين".

...

عن النبي قال "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب": فاتحته هي البسملة. وهذا من قوله تعالى "قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى"، ومن هنا قال أيضاً "الطهور شطر الإيمان" لأن

الآية جعلت الفلاح على قسمين، الأول "تزكى" وهو الطهور، والآخر "ذكر اسم ربه فصلى". فالصلاة فرع ذكر الاسم، "ذكر اسم ربه فصلى" بالتالي ما لم يذكر اسم ربه فلم يصلِّ. بالتالي قراءة البسملة هي "ذكر اسم ربه". قراءة الكتاب بدون البسملة لا تجعله صلاة، لأسباب، منها أن المصلي هو الثاني بعد المجلي الأول وبالبسملة تصبح القراءة بالله والقارىء شاعر بأنه تابع لله وعبده، ومنها أن الاسم يفتح وينزل عمود النور على القارىء حتى تصبح قراءته معراجاً ووسيلة للآخرة العليا. ثم إن الله قال "فاقرءوا ما تيسّر من القرءان" وهذا ينطبق على جميع القرءان وكل آيات الكتاب، فالقرءان كله يمكن أن يكون صلاة ولا يختص ذلك بسورة الحمد المشهورة باسم فاتحة الكتاب "أقم الصلاة..وقرءان الفجر" فجعل القرءان بدلاً من الصلاة وسماها في أخرى "صلاة الفجر"، فما الذي يجعل قراءة أي سورة من القرءان صلاةً؟ هنا جواب النبي "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" يعني أي آية تقرأها من القرءان إن قرأت قبلها بالبسملة صارت قراءتك صلاة، وإلا فليست صلاة.

...

حكم موسى بعد عبادة بني إسرائيل العجل "توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم" لا يجيز لإنسان من أجل الأديان العدوان على الأبدان. لأن التوبة هنا أساس قتل النفس، والتوبة قطعاً اختيارية. وَلأن ظاهر النص قتل النفس وليس قتل الغير، والظاهري عليه الحكم بالظاهر. وَلأن التعليل بخيرية ذلك عند بارئهم يُشعر بمحاولة إقناع حُر للعمل وليس فيه جبر وغصب. وَلأن السامري رأس الردة لم يقضِ موسى بقتله بل تركه يذهب بلا مساس، وليس في العدل ولا العقل قتل الجسم وترك الرأس ومعاقبة المأموم وترك الإمام والله يقول "قاتلوا أئمة الكفر". ثم لدخول الاحتمال فإن موسى ألقى الألواح غضباً وهذا لا يجعل عمله مطلقاً سنّة متّبعة، وقتل قبل ذلك نفساً عملاً بعمل الشيطان، فما كنّا لنترك كتاب الله بأحكامه الصريحة من أجل إشارة محتملة بل غير معتبرة كما رأينا من مشهد من قصة موسى.

...

حتى لا يُساء فهمي في موقفي السياسي والاجتماعي من بلادي أقول ما يلي:

البعض سمعوا بنقدي للدولة السعودية وانتصاري لحرية الحجاز، فاعتقدوا بأن لي مشكلة شخصية مع آل سعود ولي محبة عميقة للحجازيين كشعب. أقولها بصراحة حتى لا يُساء فهمي:

أنا شخصياً وبحسب تجربتي الشخصية البحتة، أفضِّل أفراد عائلة آل سعود على عموم الشعب الحجازي.

لا يوجد ولا مرة واحدة منذ كنت صغيرا في نحو العاشرة إلى قبل هجرتي في الثالثة والثلاثين، ولا مرة واحدة قابلت فرداً من آل سعود، ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، صاحب سمو ملكي أو صاحب دنو ملكي، درجة أولى أو درجة سياحي، في الحياة الخاصة أو في الحياة الوظيفية، ولا مرة واحدة وقد قابلت وعرفت كثيراً منهم نسبياً، إلا وكان هذا الفرد معي شخصياً من ألطف وأنظف وآدب وأسلم ما يمكن. هذه تجربتي الشخصية وأنا أعلم يقيناً أنها لا تنطبق على غيري عموماً، لكنني أتحدث عن نفسي.

في المقابل، أكثر من عرفتهم وعاشرتهم وتعاملت معهم في الحجاز، أقارب أو أباعد، أصحاب مدرسة أو زملاء وظيفة، في الحكومة أو في المجتمع، من البدو أو الحضر أو الأجانب ممن لهم إقامة أو من لا إقامة لهم، أكثر هؤلاء (مع استثناءات يمكن عدّها على إصبع أو أصابع) كانوا معي على نحو يلخصه قول المتنبي "لا تشتري العبد إلا والعصا معه / إن العبيد لأنجاس مناكيدُ"، على درجات مختلفة في النجاسة والنكد والخبث، لا مبالين، معرضين، حاسدين، معاندين، يبتسمون في الوجه ويطعنون في الظهر، يستضعفون المحترم ويركعون للقوي، يكذبون ويجادلون بالباطل، يكفرون العشير وصحبة العقود للاختلاف في الرأي، مرتشين، فاسدين، ملاحدة بجهل أو أشباه ملاحدة، مُخدَّرين خوفاً وجبناً من الحياة، سفلة عنصريين، مجرمين لا يرحمون من لا يعرفون. والقائمة تطول.

تجربتي الشخصية في حياتي في الجزيرة تجعلني أفضِّل واحد من أفراد آل سعود على ألف ممن سواهم. واضح؟

إذن موقفي السياسي الرافض للدولة السعودية كدولة لا علاقة له بتجربتي الشخصية مع أفراد العائلة السعودية. وموقفي الناصر لتحرر الحجاز لا علاقة له بحبي العاطفي لأكثر من تعاملت معهم في الحجاز. موقفي نابع من ديني ورأيي، وليس من تجربتي وعاطفتي.

أنا ضد الملكية، نقطة. لذلك أنا ضد الدولة السعودية وكل دولة ملكية وذات سلطة مطلقة أخرى، سواء كانت ملكية مطلقة كدول الخليج أو عسكرية أو أوروبية كبريطانيا والسويد. أنا أرفض الملكية جوهرياً، ولو كانت الدولة جدلاً أرحم وأكرم دولة وغطّت الشوارع بالذهب وأغرقت شعبها بالألماس، فأنا ضدها وأتقرب إلى الله بالعمل ضدها والدعاء عليها بالزوال ولعنها.

أنا مع جعل الحجاز لكل المسلمين بالتساوي، نقطة. ولولا الحرمين لكان الحجاز عندي بقيمة زمبابوي أو هونولولو. فأنا ضد احتكار الحرمين من أي طائفة إسلامية ولو كانت تمثّل أكثرية المسلمين، فما بالك وهو الآن مُحتَكَر من طائفة مارقة جاهلة لا تمثّل إلا أقلية صغيرة من

المسلمين وتمنع بالعدوان المباشر غيرها مما تبيحه لنفسها، وتزعج غيرها، وتستعمل الحرم كمصيدة للمعارضين فلم يعد آمناً أو تصدّ من تشاء عن المسجدين لخلافات عقائدية وسياسية أو تجعله بنحو لن يخاطر شخص بالذهاب إليه لعلمه بما سيحصل له على أيديهم الآثمة.

هذا باختصار موقفي. وأعيده حتى لا يبقى شك إن شاء الله:

تجربتي المحدودة تجعل عاطفتي مع كل أفراد آل سعود الذين عرفتهم وضد أكثر سكان الحجاز. لكن ديني المطلق يجعل عقلي ضد النظام السياسي للملكة السعودية ومع الحرية السياسية والدينية للحجاز.

الذي عقله مجرد صورة لعاطفته لن يفهم هذا الموقف. لكن مَن يجعل عقله غير وفوق عاطفته ويعبد الحق للحق بالحق فسيعرف قيمته.

من عجائب تجربتي مثلاً، أني أكون في طريقي لمقابلة أمير، فأجد حارس المبنى (البدوي الجلف) معاملته سيئة وخشنة وباردة، فإذا دخلت على سيده وجدته ألطف من بعض أصحاب طفولتي الذين هم من سنّي، علماً أن هذا الأمير لعل له ولداً من جيلي.

عجيبة أخرى، عبيد الدولة من شيوخ الوهابية إذا عرفوا بعض تعاليمنا القرآنية لعلهم بل سيحكمون عليّ بالردة وما يليها من حبس وقتل، لكن في المقابل واحد من آخر المجالس الجامعة التي أقمتها لتعليم هذه التعاليم "الكفرية" عند الوهابية كلاب الدولة، كان المجلس برعاية خاصة لأميرة صاحبة سمو ملكي بل وكانت أحسن الحاضرين متابعةً وتساؤلاً وأدباً وعمقاً.

عجيبة ثالثة، قد تجلس مع أمير درجة أولى ومعه عبيده وخوله ولاعقي حذائه، فتجد هؤلاء العبيد يلومونك على معارضتك السياسية للبلد بينما الأمير نفسه يشجعك على قول ما في نفسك وإن ناقشك ناقشك بهدوء وعقل.

من تجاربي أيام الجامعة، كتبتُ منشوراً اعترضت فيه على عمل للجامعة فاستدعاني الحجازي وكيل الكلية بتهمة إشعال ثورة، بينما في نفس الجامعة جاء أمير درجة أولى لإلقاء محاضرة فجادلته وعارضته بنقد سياسة الدولة فأجابني بأدب جم ثم ناداني وجلسنا بعد المحاضرة في جلسة خاصة وبشّرني بزوال التعصب الوهابي قبل عشر سنوات مما ترونه الآن وأعطاني رقمه الخاص وطلب مني إخباره بأي موضوع إن شئت.

وهلمّ جراً. تجربتي مع العائلة السعودية سماوية، ومع العبيد المُسَعوَدين جهنمية. فليكن هذا واضحاً لمعرفة أني بموقفي السياسي لا أتبع عاطفتي بل روحي وعقلي ومبادئي.

ما ذكرته يمثّل شرح الواقع بحسب الظاهر. أما باطنياً، فأرى العكس. سوء معاملة الحجازيين ظاهرها نار وباطنها رحمة لأنهم بلسان الروح أخبروني أن هذا ليس مكاني وأنه لابد من هجرتي لإعلان الدعوة. وحسن معاملة السعوديين ظاهرها رحمة وباطنها نار لأنهم بلسان النفس أرادوا تغريري حتى لا أعادي نظامهم الفاسد. فحسب الباطن، نور الحجاز ظهر في الحجازيين ولو في صورة نار، ونار الشياطين ظهرت في السعوديين ولو في صورة نور.

...

عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين)، هذه مثل قوله عن يوسف "فلبث في السجن بضع سنين". لم يرد تعبير "بضع سنين" إلا في الروم ويوسف، لماذا؟ لأن يوسف مثال على الروم. الروم هم الذين يخرجون من بلادهم لنشر الدين والعلم الإلهي. يوسف كذلك خرج من بلده إلى مصر "وجاء بكم من البدو" وقال لإخوانه بعد بعد ذلك "ائتوني بأهلكم أجمعين" فصاروا روماً مثله معه. فكما أن يوسف لبث في السجن بضع سنين ثم تحرر وصار عزيزاً في مصر، كذلك الروم في البداية "غُلِبَت الروم." لكن في النهاية "سيغلبون"، وهم رسل الله لأن الغلبة بالله لرسل الله "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي". ومن هنا قال عن الروم "ويومئذٍ يفرح المؤمنون. بنصر الله". كما نصر الله يوسف بعد حين فقال له إخوته "آثرك الله علينا" وقبلها "يأيها العزيز". إذن، انتقال يوسف من العبودية إلى العزة والتمكين، وخروجه من بيت أبيه إلى الغربة، جعله مثلاً على مَثَل الروم العظيم. وهو مَثَل حق ومن سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحوّل، ففي كل زمان روم. وكما أن إيذاء إخوة يوسف له جعل مَثَل الروم يتحقق فيه، كذلك طوعاً أو كرهاً إذا شاء الله لإنسان أن يكون من الروم سيتحقق له ذلك وفيه. إخوة يوسف كانوا شياطين في الظاهر وكواكب منيرة في الباطن، والعدوان عليه كان سبباً لتحقق قدر الله له، لذلك دعا بالمغفرة لهم في النهاية، وإن لامهم وأجهدهم لإيقاظهم خلال القصة واقرأ "أنتم شرّ مكاناً" و "إنكم لسارقون" و "كذلك كدنا ليوسف".

...

لكل إنسان ثلاثة أعياد ميلاد: يوم وُلد جسمه في عالَم الطبيعة وهو بداية تكليفه، ويوم ولد روحه في عالَم النور وهو بداية تشريفه، ويوم وُلد عزّه في عالَم الحرية وهو بداية تكريمه. هذه الثلاثة من أيام الله له، فليحفظها وليعمل فيها أعمال شكر وخير.

أما أنا:

فميلاد طبيعتي ١ ذو الحجة / ٤ يوليو : وفي هذا اليوم أقرأ سورة القصص، لأنها سورة الاستقلال والفردية.
وميلاد نفسي ١٥ شعبان : وفي هذا اليوم أقرأ سورة العنكبوت، لأنها سورة الحياة العلمية.
وميلاد حريتي ١٠ مارس : وفي هذا اليوم أقرأ سورة الروم، لأنها سورة التمكين والتعددية.

...

لم يذكر الله مفردة (زوج) بأنواعها لا في سورة القصص ولا العنكبوت، لكنه ذكرها في سورة الروم "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً"، لماذا؟
لأنه قبل رسوخك في الفردية والحياة العلمية وتمكنك في الحرية، فلا نفس معتبرة لك حتى يكون لك زوج "من" نفسك.

...

شعرت بارتفاع حرارتي قبل فترة فاشتريت مقياس حرارة "ترمومتر" وقرأت وصف الجهاز وكيفية استعماله، فوجدت أنه مَثَل له تأويل باطني.

ما هي الحرارة بالنسبة للنفس؟ البرودة رمز الموت، فالحرارة رمز الحياة وتدل على الحركة. حركة النفس بالذكر والفكر والكلام، هذه حركات، إذا قمت بها فهي دليل على حياة نفسك.

الآن، الاعتدال مطلوب. لأن الإفراط في حركة النفس يشبه طلب موسى رؤية ربه وهو طلب لمزيد من إشراق النور الإلهي بقدر يزيد على قدرته النفسية على التحمّل ولذلك "فلما تجلى ربه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صَعِقاً"، مثل شخص ارتفعت حرارة جسمه فوق الحد الأوسط فانهار جسمه. في المقابل، لدينا التفريط في الحركة وهي البرودة المَرَضية أيضاً، كقوله "اثّاقلتم إلى الأرض" وهم كالمنافقين الذين إذا "قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى"، لأنهم "قوم لا يعقلون".

حسناً، كيف نقيس درجة حرارة أنفسنا حتى نعلم هل نحن ضمن حدود الاعتدال أو الإفراط والتفريط؟ لهذا نحتاج مقياس حرارة، ترمومتر نفسي. وهنا نستطيع رؤية مَثل الترمومتر البدني كمفتاح لذلك.

فأولاً، لبدنك لا تستطيع عادةً قياس حرارتك بيدك وشعورك، وإن استطعت في الجملة فهذا نادر ومجمل غير دقيق. كذلك في النفس، يندر مَن يقيس نفسه بنفسه ولذلك قال النبي "المؤمن مرآة المؤمن" فهو مقياسه ويعكس له نفسه بوضوح وتجرّد. كذلك القرءان مقياس، "أنزل معهم

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط"، ومدى كيفية وكمية قراءتك له يدل على حرارة نفسك، فالذي لا يقرأه ويتأمله ويدرسه فهذا البارد الميت الروح "أَوَمَن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمَن مَثله في الظلمات"، والذي يكثر من قراءته على سبيل المطالعة والتكاثر الكمّي اللفظي كالذين همهم فقط تكثير عدد الختمات فهؤلاء ممن لديه فرط حركة مرضية ودليل على قرب الهلاك ومن هنا الخوارج الذين قال النبي فيهم "شر الخلق والخليقة" قال فيهم أيضاً "يقرأون القرءان" لكن كيف؟ قال "لا يجاوز حناجرهم"، قراءة حناجر لا قراءة متدبّر ذاكر فابتعدوا عن قوله تعالى "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب".

ثانياً، يوجد أكثر من نوع لأجهزة مقاييس الحرارة لتعدد الشركات والتقنيات لكن كلها تدور حول نفس الفكرة العامة ومقصدها مشترك. كذلك في الباطن. تتعدد الطرق الروحية "لكُل جعلنا منكم شِرعة ومنهاجا" ولكل علماء طريقة إلهية مقاييس للاعتدال النفسي.

ثالثاً، الترمومتر الذي اشتريته مكتوب عليه "آمِن لكل الأعمار"، يعني للصغير والكبير. في الباطن، هذا القرءان، وأما بقية المقاييس فإنها قد تصلح للكبير من العارفين ولا تصلح للصغير من السالكين، مثلاً لا تستطيع أن تقيس حديث عهد بإسلام أو طلب العلم بوسيلة كتاب فصوص الحكم لابن عربي فإنه سيظهر كبارد شبه ميت على أساسه، وفي المقابل لا تستطيع قياس حكيم بواسطة كتاب مختصر في الفقه الظاهري لأن حركته العقلية ستظهر مفرطة عليه. كذلك المؤمن من البشر، إذا قست نفسك بصوفي متعمق ستظهر شديد البرودة، وإذا قستها وأنت طالب علم بمُقلِّد من العوام ستظهر شديد الحرارة، فلا ينفعك إلا المؤمن سبحانه وتعالى لأنه ربك الذي يريك نفسك على ما هي عليه ويكشفها لك بحسب كمالك المُقدَّر لك "هم درجات عند الله"، فتعرف من مدى قربك وبعدك من كمالك المرسوم لك مدى حركتك أو جمودك ومن هنا من أسماء الله "المؤمن" فحين قال النبي "المؤمن مرآة المؤمن" فيشمل المؤمن أي الإنسان والمؤمن أي الله فتأمل.

رابعاً، مكتوب على الترمومتر أنه صالح للاستعمال ومريح لوضعه في "الفم والشرج وتحت الإبط". تأويله؟

الفم ما تقوله، يعني تستطيع قياس نفسك بالنظر في كلامك، فالذي كل كلامه عن الدنيا فهو المتطرف في البرودة الروحية، والذي كل كلامه عن الآخرة فهو المتطرف في الحرارة

الروحية، والاعتدال في آية "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"، فالرهبنة مثلاً من التطرف الحراري ولذلك قد تؤدي إلى أمراض مثل أكل أموال الناس بالباطل لأنهم لا مهنة لهم يتكسبون بها.

الشرج ما تفعله، ما يخرج من أسفلك، فمك ما يخرج من أعلاك وأعلى مخارجك فمك لأنه لسان العقل. أسفل ما فيك بالمقارنة جسمك وهو لسان الإرادة التي تبعث على الفعل، فانظر ماذا تفعل لتعرف درجتك. فالذي فعله يقتصر على طلب المال مثلاً فهو البارد، والذي فعله يقتصر على طلب العلم فهو الحار المتطرف، والاعتدال بينهما كما قال الله "جعلنا النهار معاشاً" وقال "قم الليل إلا قليلا..ورتّل القرءان ترتيلا".

الإبط ما تعقله، لأنه جناحك كما قال عن موسى "أدخل يدك في جيبك" وقال "اضمم يدك إلى جناحك"، فتحت الإبط مَثَل على الجناح، والجناح ما تطير به، والطيران باطنياً المستوى الذي ترقى فيه، والترقي بالتعقل قال النبي "يُقال لصاحب القرءان اقرأ وارتقِ"، قال الله "يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات". فكل جناح قوة عقلية، من هنا جاء أمر "اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين" والذي ترجمه النبي بقوله "أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم"، فتنزل لتشرح لهم وتصعد بهم وترفعهم قليلاً قليلاً. بالتالي بالنظر في كيفية تعقل الإنسان للأمور وشرحها نستطيع قياس درجة حرارة نفسه.

خامساً، على الترمومتر مكتوب "فيه خاصية حفظ درجات الحرارة السابقة حتى تراقب تطورك". تأويله؟ الكتابة. اكتب قولك وفعلك وتعقلك للأمور، حاسب نفسك باستمرار واحفظ ذلك في كتبك، ثم راجع ما كتبته إن لم تستطع حفظه في ذاكرتك، وقارن حتى ترى تطورك النفسي والروحي. كذلك الصاحب في الله وشيخ الطريقة الشخصي، كلاهما ينفعك في هذا الباب لأنهم يهتمون بك شخصياً فيتذكرون أحوالك وتاريخك ويراقبون مدى تقدّمك أو تأخّرك.

سادساً، على الترمومتر مكتوب "فيه إنذار لتنبيهك حين تصل حرارتك درجة الحمّى". ما باطنه؟ المحرمات الكبرى. "قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق.." وهكذا كبائر ما نُهيت عنه، إذا تجاوزتها والعياذ بالله فقد اخترقت حمى الله التي هي محارمه كما قال النبي. كذلك قصص الأقوام الكافرة في القرءان الذين أهلكهم الله، هذه إنذارات لتنبيه الفرد والأمة على الأمور الكبرى الجالبة لنار الهلاك كإخراج الناس من ديارهم بغير حق من أجل قولهم ودينهم، أو استعبادهم

واستغلالهم غصباً وعدواناً، أو الإكراه في الدين والجبر على الدخول في الملّة، ونحو ذلك مما دمّر الله به الأقوام.

سابعاً، هذا الترمومتر يكشف درجة الحرارة بالفهرنهايت وبالسيلسيوس، يعني بالطريقتين المستعملة في الشرق والغرب. فالحقيقة الواحدة قد يتم التعبير عنها بصورتين مختلفتين. تأويله: "يُسقى بماء واحد ونُفضِّل بعضه على بعض في الأُكُل"، الروح ماء واحد، يتشكل ويتلون بحسب آنية القلوب التي تستوعبه، ولذلك نؤمن ب"كتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله". فأياً كان الكتاب والرسول الذي تقيس نفسك به فالنتيجة واحدة وإن كانت الألسنة مختلفة، فانظر في الجوهر ولا تجادل في الصور.

ثامناً، هذا الترمومتر "يقيس الحرارة في ثلاثين ثانية"، يعني يحتاج زمن لكنه سريع، يوجد ما يحتاج وقت أطول والنتيجة واحدة، فلابد من زمن والزمن لابد له من صبر، فالصبر عنصر أساسي في عملية القياس. ومن هنا قول الله "وتواصوا بالصبر" وأمر "اصبر". الذي يريد الفورية في معرفة نفسه على الأغلب سيجهل ويُعرض عن طرق الكشف. نعم، قد توجد طرق سريعة جداً، لكن لو دققت ستجد فيها زمناً مهما قلّ. فعوّد نفسك على الصبر والهدوء والمراقبة المستدامة، ولا تضجر فإنه لا يوجد ما هو أولى من معرفتك نفسك حتى تذهب وتشتغل به بدلاً من الصبر على كشفها والتأكد من سلامتها ومراقبة تطورها.

تاسعاً، في تركيب الترمومتر وضعوا شيئاً حتى يهدي مستعمله لكيفية وضعه في فمه من أجل سلامة أسنانه. تأويله؟ تعلّم نطق القرءان وكيفية تلاوته ومخارج حروفه ومعانيه العربية، وهي الحد الأول قبل الدخول في علومه وموازينه.

عاشراً، توجد شاشة صغيرة حتى تسهّل عليك قراءة درجة حرارتك. باطن ذلك قوله تعالى "ولقد يسّرنا القرءان للذكّر فهل من مدّكر" وقوله "بلسان قومه ليبيّن لهم". فالقرءان ميسّر ومبين، ويأمر الله في كل عصر مَن يبينه للناس ممن لم يحسنوا فهمه بأنفسهم حتى توعد فقال "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"، فهؤلاء العلماء بالكتاب الذين يخفون حقيقة حال الأفراد والأمم لأغراض مختلفة مثل "يشترون به ثمناً قليلاً" أو "تخشى الناس" أو "مودة بينكم في الحياة الدنيا" أو "بغياً بينهم" أو "يأكلون أموال الناس بالباطل" أو غير ذلك، هؤلاء مثل الطبيب أو العارف من

عامة الناس الذي يأتيه شخص أمّي مريض لا يعرف كيف يقرأ ويفسّر درجة حرارته الواقعية المبينة في ميزان الحرارة المُيسَّر، فلا يخبره أو يكذب عليه كأن تكون حرارته مرتفعة في الأربعينات فيقول له "وضعك تمام توكل على بيتك"، هذا مثل علماء السوء في أمتنا اليوم الذين يكذبون على الناس ويخبرونهم بأن وضعهم تمام ووضع دولهم تمام ووضع دينهم تمام أو على الأقل لا خطر عليهم في دينهم، بالرغم من أنهم يعرفون بموازين القرءان مدى خطر التطرف الحار والبارد الذي في جسد الأمة.

كذلك في هذا جواب للذين يزعمون أن كفاية القرءان في البيان وتيسيره للذكر تدل على عدم جدوى وجود أهل العلم والذكر، والرد عليهم بمقياس الحرارة فإنه أيضاً ميسّر للذكر ومبيّن لكن ليس كل فرد بالضرورة يعرف الفرق مابين القياس بالفهرنهايت والسيلسيوس، وما درجات كل واحد، وما تفسير هذه الدرجة. لذلك قال الله "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" وقال "كونوا مع الصادقين" وقال "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم".

حادي عشر، مكتوب أن هذا الترمومتر مصنوع بطريقة توافق معايير الجودة المعتبرة للخبراء. تأويله "ولا ينبئك مثل خبير"، فجودة القرءان في القياس والوزن لأنه يوافق علم الله "أنزله بعلمه". كذلك لا يكفي أن يضع العالِم طريقة روحية، بل لابد من موافقة هذه الطريقة لكتاب الله وهدى المرسلين.

ثاني عشر، مكتوب "النتائج تختلف بحسب الأفراد وطريقة الاستعمال". نعم، هنا علامة الدين الحق الحي، يختلف بحسب الأفراد ويراعي كل فرد على ما هو عليه. خلافاً للدين بالجملة والطرق التي تعتمد الكمية في أتباعها بدلاً من مراعاة كل فرد.

أخيراً: هذه بعض الاعتبارات بحمد الله استفدتها من ارتفاع درجة حرارة جسمي، فليكن مرض ومصائب جسمنا وسيلة لصحة وتصويب عقلنا. "فاعتبروا يا أولي الأبصار.

...

حين تصف المرض قد تقول "سرطان خبيث"، لكن حين تصف المريض قد تقول "ظلم نفسه بالتدخين" أو قد تقول "مظلوم، فقير يعيش في منطقة بنت فيها الدولة الظالمة محطة نووية تسببت في مرضه". فليس كل مريض ظالم لنفسه، ولا كل مريض مظلوم. لابد من التفريق.

هذا مَثَل ما ذكرته في مقالتي السابقة عن التفريق ما بين موقفي السياسي من السعودية والحجاز. الحجازيون بشكل عام (والاستثناء طبعاً موجود) لا يختلفون في تصرفاتهم عن بقية

الأمم التي تم ويتم استعبادها قهراً وإذلالها منهجياً. اقرأ عن نفسيات الأفارقة الذين جُلبوا لأمريكا كعبيد، أو اقرأ عن نفسيات اليهودي في أوربا العصور الوسطى المضطهد ليل نهار، وستجد أن عرب اليوم عموماً وعرب الجزيرة خصوصاً وعرب الحجاز بالأخص لهم الحظ الأوفر من وراثة نفسية الإفريقي المستعبد واليهودي المُضطَهَد. أقول "العرب عموماً" لأنهم كلهم تحت حكم مَلكي عائلي أو عسكري، وأقول "عرب الجزيرة خصوصاً" لأنها تحت قهر سياسي وروحي معاً، وأقول "عرب الحجاز بالأخص" لأننا قلب العالَم الإسلامي وتركيز الأجانب السعوديين الوهابيين على قهرنا وسلبنا مركزنا حتى يجعلوا المركزية لهم أشد وأقسى وخطورتنا في أعينهم أكبر وأدهى.

حتى لا يُساء فهمي في محاولة عدم فتح مجال لسوء فهمي:

أولاً: أنا لا أُبرئ بشكل عام أفراد العائلة السعودية الطاغية لأن مَن عرفني منهم وأحسن معي لو عرفوا حقيقة رأيي فيهم حينها لكان لهم تصرف آخر معي على الأغلب، وَكذلك في مائة سنة تقريباً لم يخرج منهم ثلاثة نفر يعارضون ظلم عائلتهم واستعبادهم وإسكاتهم الناس بل ولا اثنين بل وحتى الواحد الذي في بالي حين سمعت قصته منه تبيّن أنه من الدرجات السفلى وعلى الهامش وخرج لسبب شخصي من البلاد، فالعائلة كلها منتفعة من هذه الدولة بشكل أو بآخر وسكوتهم خزي فوق خزي.

ثانياً: الذين عرفتهم وآذوني بشكل أو بآخر ممن أشرت لهم من الحجازيين، من معرفتي بهم معظمهم يعيش نفسية المستعبد وهو مقهور والمقهور معذور، الشعور بالعجز والحيرة مع الشعور بالذل وانسداد الأبواب وغياب الكرامة على مستوى الأمة، هذه وغيرها من الطبيعي أن تُنتج أذية المستضعفين بعضهم بعضاً، ليس بسوء نية غالباً، بل ضعيف لا يستطيع أخذ حقه وحريته من القوي الذي فوقه فيبحث عن نوع من التوازن بإيذاء مستضعف مثله أو تحته. فليس في قلبي ضغينة على أحد، نحن قوم من المستضعفين والمضحوك علينا منذ أجيال بالدجال السعودي الوهابي. الدجل بدأ على أجدادنا وسرى منهم إلى آبائنا ومنهم إلينا، "لتُنذرَ قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون"، لكننا الآن في زمن اليقظة الحقيقية.

الخلاصة: حتى العادل المُحسن من السعوديين (على فرض وجوده أصلاً)، فهو ظالم لا عذر له. وعموماً الظالم الجاهل من الحجازيين، مظلوم ينبغي علينا مسامحته.

...

روي عن النبي أنه قال (إن الله أمرني أن أُحرِّق قريشاً)، لماذا؟ لأن قريش حرّقت أبدان المسلمين وحرّقت نفوسهم أيضاً عبر جبرهم على كتم مافي نفوسهم.

المشركون هم الذين يجبرون الناس في أمر الدين. لاحظ مثلاً في قصة حرق إبراهيم. (قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم)، لماذا؟

تأمل تركيبة المجتمع عندهم: (قالوا مَن فعل هذا بآلهتنا..قالوا سمعنا فتى يذكرهم..قالوا فأتوا به على أعين الناس) (حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله المُلك..قال أنا أُحيي وأميت)، إذن توجد أربع فئات، فئة الملك، وفئة شيوخ الدين وهم سدنة الأصنام ورعاة الآلهة، وفئة الجنود الذين يطيعون أوامر الملك والشيوخ، وفئة عامة الناس. عرف الملك أن لا حجة له ومع ذلك لم يُسلم، عرف الشيوخ أن دينهم باطل ومع ذلك لم يسلموا، معنى ذلك أن الملك والشيوخ أصلاً ملاحدة لا يبالون بالدين، الذي يبالون به هو (فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) يعني همهم إخضاع وإيهام عامة الناس، باختصار الدين عند الملك والشيوخ مجرد أداة سياسية لمصالحهم الدنيوية.

الذين يعتبرون الدين مجرد أداة سياسية، ويستعملون العنف لحماية الدين لأنه أداتهم الكبرى في التأثير في (أعين الناس)، هؤلاء لا قيمة للكلام معهم أصلاً، والحجج العقلية والمعنوية لا تؤثر فيهم بالكلّية، تماماً كما حصل لاحقاً مع موسى وفرعون "ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى". وظهر تأويل لذلك مع قريش والنبي ومن معه، فإنهم حرقوا وعذبوا وقتلوا من المسلمين ما لا يعلمه إلا الله بالتفصيل، والواقع أن كل مَن يعيش تحت حكمهم يحترق نفسياً يومياً، فالله رب النفس والذي نفوسنا لنفسه سبحانه "إنا لله" حين ينظر لذلك يأمر بتخليص النفوس من استعباد الملوك والمشايخ المتجبرين والملحدين حقيقةً المتدينين أحياناً صورةً فيما يظهر فقط ل(أعين الناس). من هنا تفهم قول النبي (إن الله أمرني أن أُحرّق قريشاً).

روي عن النبي أنه قال (إن الله أمرني أن أُحرِّق قريشاً)، لماذا؟ لأن قريش حرّقت أبدان المسلمين وحرّقت نفوسهم أيضاً عبر جبرهم على كتم مافي نفوسهم.

المشركون هم الذين يجبرون الناس في أمر الدين. لاحظ مثلاً في قصة حرق إبراهيم. (قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم)، لماذا؟

تأمل تركيبة المجتمع عندهم: (قالوا مَن فعل هذا بآلهتنا..قالوا سمعنا فتى يذكرهم..قالوا فأتوا به على أعين الناس) (حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله المُلك..قال أنا أُحيي وأميت)، إذن توجد أربع فئات، فئة الملك، وفئة شيوخ الدين وهم سدنة الأصنام ورعاة الآلهة، وفئة الجنود

الذين يطيعون أوامر الملك والشيوخ، وفئة عامة الناس. عرف الملك أن لا حجة له ومع ذلك لم يُسلم، عرف الشيوخ أن دينهم باطل ومع ذلك لم يسلموا ، معنى ذلك أن الملك والشيوخ أصلاً ملاحدة لا يبالون بالدين، الذي يبالون به هو (فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) يعني همهم إخضاع وإيهام عامة الناس، باختصار الدين عند الملك والشيوخ مجرد أداة سياسية لمصالحهم الدنيوية.

الذين يعتبرون الدين مجرد أداة سياسية، ويستعملون العنف لحماية الدين لأنه أداتهم الكبرى في التأثير في (أعين الناس)، هؤلاء لا قيمة للكلام معهم أصلاً، والحجج العقلية والمعنوية لا تؤثر فيهم بالكلّية، تماماً كما حصل لاحقاً مع موسى وفرعون "ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى". وظهر تأويل لذلك مع قريش والنبي ومن معه، فإنهم حرقوا وعذبوا وقتلوا من المسلمين ما لا يعلمه إلا الله بالتفصيل، والواقع أن كل مَن يعيش تحت حكمهم يحترق نفسياً يومياً، فالله رب النفس والذي نفوسنا لنفسه سبحانه "إنا لله" حين ينظر لذلك يأمر بتخليص النفوس من استعباد الملوك والمشايخ المتجبرين والملحدين حقيقةً المتدينين أحياناً صورةً فيما يظهر فقط ل(أعين الناس). من هنا تفهم قول النبي (إن الله أمرني أن أُحرّق قريشاً).

لابد من وجود دار هجرة في كل الأزمنة. حيث يهاجر إليها من كل مكان مَن استطاع. ثم بعد ذلك يجب أن يقوم أهل هذه الدار بتجهيز ما قاله الله للنبي بعدما هاجر "اغزُ نُغزِك وابعث جيشاً"، فجهز جيوش وفيهم من المستضعفين المهاجرين، وغزا بهم الظالمين الذين حرقوهم وعذبوهم وقتلوا إخوانهم. لابد من حركة قانونية مرتبة لتحرير كل الناس في كل بلاد الأرض. أي أمّة حرّة تستمتع بحريتها دون التفكير والعمل على تحرير غيرها فهي أمة كافرة لنعمة ربها وستتعذب بنفس حريتها وستكون فتنة لها. إن الله لا يعطي المال ليبخل به الغني، ولا يعطي العلم ليكتمه الذكي، ولا يعطي الحرية لينام عليها القوي بل يعطيه ليستعملها لتخليص الناس من الظلم والبغي.

...

(خالدين فيها أبدا) ما الفرق بين الخلود والتأبيد، وحيث أن كل جزاء مبني على عمل فما العمل المؤدي للتأبيد؟

بعد النظر في كل الآيات التي ذكرت (أبدا) تبين التالي: الأبد فرع الإرادة.

يعني، حين تجزم بإرادتك بأمر ما جزماً لا تغيير فيه إما لذاته وإما لأنك تبني جزمك على شرط لن يتغيّر فلا تتغير إرادتك لثبوت الشرط، فحينها تكون إرادتك أبدية في الدنيا. وحيث أن الآخرة جزاء الدنيا، فإن الإرادة الأبدية في الدنيا لها جزاء أبدي في الآخرة، ومن هنا قال عن

أصحاب الجنة "خالدين فيها أبدا" وعن أصحاب جهنم مثل ذلك، لأن كلاهما ثبتت إرادته على أمر ما ولو عاش في الدنيا بلا موت لبقي على ما هو عليه كإرادة أصحاب الجنة وجه ربهم "يريدون وجهه" وإرادة أصحاب جهنم العلو في الأرض "أرادوا به كيداً" ونحو ذلك.

من هنا قال مثلاً في باب الأحكام الشرعية "لا تقبلوا لهم شهادةً أبدا"، فهم لن يعيشوا أبدا في الدنيا، لكن المقصود أن تكون إرادتنا ثابتة في هذه القضية وهي عدم قبول شهادة صنف حدده الله. وكذلك مثلاً قوله للنبي "لا تُصلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره" (في الآية بيان أنه تجوز الصلاة على الميت غير المنافق والكافر ويجوز القيام على قبره "أبدا" أي ليس فقط عند موته ودفنه بل حتى بعد ذلك) فالمعنى طالما أنك حي لتكن إرادتك كذلك. الأبد إرادة ثابتة عبر الزمن، ولا تتغيّر بتغيّر الزمن.

فما الذي تنبني عليه الإرادة الثابتة؟ مما تنبني عليه العقل الثابت، لأن الإرادة تابعة للعقل. ومن هنا تفهم لماذا يأتي ذكر الخلود دائماً قبل ذكر التأبيد، (خالدين فيها أبدا) لأن الخلود ثمرة العقل والتأبيد ثمرة الإرادة. من هنا كلمة "خُلد" الزمنية لها نفس جذر كلمة "خَلَد" الذهنية كقولك "يدور بخَلده" يعني يدور بعقله. حين تعتقد بشيء بعقلك وتقطع فيه فإنك بذلك تكتسب خلوداً، فإن اعتقدت بحق خلدت في الجنة وإن اعتقدت بباطل خلدت في النار. ثم إرادتك ستتبع عقلك فتكون لك الأبدية. من هنا قال الله عن أهل النار لما زعموا أنه لو أرجعهم إلى الدنيا سيعملون صالحاً "ولو رُدّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون"، فبيّن أن إرادتهم الجوهرية تتعلق بارتكاب النهي وعقولهم الجوهرية تتعلق بضد ما قالوه وهو الكذب المشار إليه في الآية.

إذن لدينا ثلاثة أمور ينبني عليها المصير: النفس وعقلها وإرادتها. وعبّر عن الثلاثة بجملة (خالدين فيها أبداً)، فقوله (خالدين) يشير للعقل، وقوله (أبداً) يشير للإرادة، وما بينهما (فيها) يشير للنفس التي مشرقها العقل ومغربها الإرادة وهي الوسط الجامع بينهما فإما تكون جنانية وإما تكون جهنمية. وبدأ بذكر الخلود لأن عقلك أساس تكوّن نفسك، وأفكارك وعقائدك أول ما يُشكِّلُك، وبعد ذلك ستتشكل نفسك ويكون عمل إرادتك بحسب ذلك "قل كُلٌ يعمل على شاكلته"، فتغيير العمل ينبني على تغيير الشاكلة وتغيير الشاكلة ينبني على تغيير العقل، ولذلك "إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون" و "يجعل الرجس على الذين لا يعقلون". فقُل لي ما في عقلك أقل لك مَن أنت وما مصيرك إن دمت عليه.

...

الرسل يجيئون للنفس.

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة، وأثاروا الأرض، وعمروها أكثر مما عمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

القوة هنا العسكرية، "أعدوا لهم ما استطعتم من قوة". وإثارة الأرض يعني القوة الاقتصادية، "تثير الأرض" للزراعة. والعمران قوة صناعية وسكانية. بعبارة مختصرة، لإقامة مجتمع قوي عسكرياً واقتصادياً وصناعياً وسكانياً لا تحتاج إلى رسل الله وبيناتهم. (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بعد أن كانت لديهم القوة والإثارة والعمارة.

الدجل الذي يزعم بأن مقصد الرسل هو تحصيل قوة دنيوية (عسكرية أو ثروة أو عمران) هو دجل مخالف للقرءان والواقع المشهود. أما القرءان فهذه إحدى آياته. وأما الواقع فبين يديك، أشد الأقوام تخلفاً هي أكثرها اعتقاداً بأن دولها مبنية على عقيدة دينية، ولا علاقة جوهرية بين عقيدتها وما لديها من هذه الأمور الدنيوية المبنية على الطبيعة البحتة.

فلماذا يأتي الرسل؟ للنفس. فهؤلاء الذين ذكرتهم الآية ذوي القوة والثروة والعمارة هم (أنفسهم يظلمون).

ثم الذين استنارت نفوسهم واستقامت، قد يختارون الانزواء والفقر والخلوة، وقد يختارون القوة والثروة والاجتماع. لا هذا ضروري ولا ذاك.

...

يسأل البعض: أين الوحي التأويلي والتفسيري للنبي؟ يعني، القرءان له نص وله مفهوم، النبي أوتي النص والمفهوم، فلماذا نُقِلَ لنا النص دون المفهوم؟ هنا تأتي مقولة الشيعة المشهورة بتحريف القرءان، وليس قصد علمائهم أن النص تحرف، لكن القصد أن المفهوم تحرف وضاع بسبب ما فعله رؤوس الصحابة بعد النبي، فيقولون بأنه بعد وفاة النبي كتب علي بن أبي طالب نص القرءان وكتب في نفس المصحف تأويل وتفسير القرءان الذي أخذه عن النبي والذي بدوره أخذه عن الوحي، ولما فرغ علي من هذا المصحف عرضه على رؤساء الصحابة وأخبرهم بأن فيه النص والمفهوم معاً فرفضه عمر بن الخطاب وتابعه من تابعه. هذا فتح باب أن يقول كل واحد برأيه في مفهوم القرءان فضلّت الأمة واختلفت في مفاهيمها بالرغم من اتفاقها على نصها القرءاني.

الآن، يوجد اتفاق على النص القرءاني عموماً. وكيفية فهم القرءان هي محل الخلاف. هل فهم القرءان يكون بالوحي فقط أو بالرأي فقط أو بهما معاً؟ الإمامية من الشيعة يقولون

بالوحي فقط، أتباع الصحابة يختلفون ففيهم من يقول بالوحي فقط وفيهم من يقول بالوحي إن وجد وإن لم يوجد فالسكوت أولى وفيهم من يقول بالوحي إن وجد وبالرأي إن لم يوجد. والوحي عند الشيعة هو الوحي الذي جاء للنبي وورثه أهل البيت على اختلافهم في تعيينهم لكنهم متفقون عموماً على أنه لا وحي تفهيم لغير النبي ومن اعتقدوا فيهم من أولاد علي. الوحي عند السنة أصله وحي النبي المحفوظ في الروايات، لكن ممن ينتمي للفرقة السنية من يقول بأن لأهل التصوف نوع من الوحي وهو الكشف والإلهام ومحادثة النبي وإلقاء الله في قلب الولي وبه يفهم القرءان فهماً صادقاً مُسَدداً. أما الرأي فمبني على فهم النص، والنص عربي، بالتالي لابد من التمكن في العربية لاستنباط معانيه منه.

النتيجة؟ النتيجة الواقعية هي أن الأمة صارت بسبب هذا الاختلاف إلى هجر القرءان بشكل عام. وتخندق كل أهل مذهب في مذهبهم الذين يعتقدون أنه اشتمل على الوصفة الكاملة لفهم القرءان أو ترك السعي لفهمه أصلاً لأن الأصل في فهمه الوحي النبوي وهذا انقطع. فبقيت آثار الوحي، أو "أثر الرسول"، أو أثر الإمام الذي لديه أثر الرسول، وهي الروايات وكل مافيها من إشكالات أوصلها بعضهم إلى ثمانين إشكالاً ومدخل للشبهة والاشتباه. وصُنعت المذاهب على أساس هذه الروايات، بحجة أنها المدخل الوحيد أو المدخل الأسلم للآيات، وتم عملياً نسيان الآيات أو الإعراض عنها صراحةً أو تقديمها على ما يدل عليه القرءان بعربيته والربط بين آياته بالعقل بحجة يمكن تلخيصها بعبارة "قلوبنا غُلف"، حتى قال الشيعة "إنما يفهم القرءان مَن أُنزل عليه" يعنون الإمام والإمام توفي أو هو غائب والنتيجة واحدة فلا فهم حي الآن للقرءان، وقال السنة "القرءان أحوج للسنة من السنة للقرءان" والنتيجة الاشتغال بالروايات وهجر الآيات كلياً أو جعلها ثانوية. الخلاصة ؟ الخلاصة دين الأمة غير مبني ببيان على القرءان، ولا يوجد مَن تعتقد الأمة بفرقها الكبرى أنه قادر على فهم نص القرءان. فصار القرءان لعموم هذه الأمة مثل المسيح عند أهل الصليب: تمثال جامد ينظرون إليه بتبجيل لكن لا يكلمهم ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ولا يهديهم سبيلا.

وأما علماء هذه الأمة فأكثرهم ممن يحرفون القرءان من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، لأنهم سيقولون لك "الآية تدل على كذا لكن مذهبنا يدل على غير كذا ونحن لا نثق بفهمنا ونثق برواياتنا وشيوخ مذاهبنا" بعبارة أوضح صار "ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين" هي حجتهم، وصاروا يقولون لمن يأتيهم بفهم للقرءان مخالف لما هم عليه "ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين"، فالكل سلفية، السنة سلفية والشيعة سلفية، نعم يختلفون في تحديد السلف ومعايير النقل لكن المحصلة واحدة وهي هجر القرءان.

الشيعة والسنة يروون روايات المفترض أنها أثر الرسول والإمام الرسولي. لكن إذا نظرت فيها لن تجدها عادةً تشرح كيفية ارتباطها بالقرءان وما حجتها منه؟ نعم، أنا أقول أن الصحيح منها له أصول قرءانية لكنها غير مبينة في ذات الرواية. مثلاً، قد تجد رواية تقول "الكوثر هو القرءان" من قوله "إنا أعطيناك الكوثر"، لكن ما بيان وتفصيل ذلك؟ الرواية ساكتة. قد تجد عند الشيعة رواية تتضمن وحياً تأويلياً تفسيرياً تقول أن آية "إنا نحن نزلنا عليك القرءان تنزيلاً" تفسيرها هو "نزلنا عليك القرءان بولاية علي تنزيلا"، لكن إذا سألتهم: لماذا لم ينزل في النص الوحي التنزيلي هذا الأمر حتى نزل في الوحي التأويلي فقط؟ وما العلاقة بين هذه الآية وفكرة الولاية عموماً وولاية علي خصوصاً؟ الرواية ساكتة. وهلم جراً. فحتى الروايات عن النبي مباشرة أو عن الأئمة والصحابة والتي من المفترض أنها تابعة لوحي النبي في فهم القرءان، هذه الروايات لا تبيّن عادةً كيفية ربط معناها بنص القرءان وتعقله. ومن هذا الوجه فحتى لو سلمنا بها فإنها لا تسمن عقل القارىء ولا تغني من جوع الجائع لفهم القرءان ببيان مبين مفصّل، فضلاً عن دخول الثمانين شبهة على الروايات عموماً، فضلاً عن التخندق الحاصل في الأحزاب بسبب اختلافهم في الرجال الذين تؤخذ عنهم الرواية المقبولة. الدين صار كله شبهة لأنه مؤسس على شبهة بل شبهات. لذلك انتشر وينتشر الشك وعدم التدين العميق والحي في الأمة، وتجد أفسد وأظلم وأغبى الأمم هي التي ينتشر فيها هذه النسخة من الدين، وكلما ازداد انتشاره كلما طغت الظلمات عليها أكثر.

الفرق الكبرى تركت الآيات للروايات بحجة فهم الآيات، ثم تُركت الروايات للمذاهب بحجة فهم الروايات، ثم تركت المذاهب للشيوخ بحجة فهم المذاهب، ثم هاهم إما يتبعون مشايخ لا يرقونهم في الفهم وإما يتركون الشيوخ ليذهبوا مع الشيطان إلى حيث ألقت. فهجر القرءان بدأ بنية طيبة وانتهى إلى جحيم التقليد أو الجحود.

كردة فعل لهذا البؤس الذي دفن القرءان تحت ثلاث طبقات، ظهر أناس جهلة رفعوا الطبقة الأولى وقالوا "لا مشايخ، سنرجع إلى المذاهب والروايات والقرءان مباشرة" فجعلوا الذين يعلمون يستوون مع الذين لا يعلمون فضلوا وكابروا.

ثم ظهر أناس رفعوا الطبقة الثانية وقالوا "لا مذاهب، سنرجع إلى الروايات والقرءان مباشرة" فصنعوا مذاهب أسخف وأضل من التي تركوها وكانوا كمن رفض الشراء من أسواق الذهب بحجة إرادة التنقيب عن الذهب بنفسه فأخذ معولاً وذهب إلى الجبال فلما شقي ولم يخرج بطائل اشترى حديداً وطلاه بلون الذهب الزائف وصار يروجه للناس الذين هم أجهل منه.

ثم ظهر أناس وقالوا "لا روايات، سنرجع إلى القرءان مباشرة"، فوجدناهم عموماً على فرق، منها فرقة من الماديين والملاحدة الطبيعيين، ومنها فرقة تقلد المذهب البروتستانتي الذي رأوه رفض التقاليد في الغرب وانطلقت بسببه الحداثة فقلّدوا جهلاً منهم بالقضية كلها في شقها المسيحي الأوروبي والإسلامي معاً وزعموا أنهم برفض الموروث وأخذ القرءان فقط سيفعلون كما فعل البروتستانت في أوروبا فتركوا تقليد المسلمين لتقليد البروتستانتيين، ومنها فرقة لا تعرف كيف تقرأ ثلاث آيات وتزعم أنها ستفسر القرءان كله برأيها.

فما أعظم ظلم هذه الأمة للقرءان ! المؤمن فيها يهجره، والمنافق يستغله، والكافر يعبث به. العاقل اشتغل بغيره، والجاهل يُسخّره لدنياه. مَن عرف معناه اختار غيره عليه، ومن جهل معناه استغنى برأيه وطائفته عنه. "فبأي حديثٍ بعده يؤمنون".

...

قال صاحب تفسير المحرر الوجيز ابن عطية: (وأجمع الناس على الاستواء في نفس { المسجد الحرام } واختلفوا في مكة، فذهب عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد وجماعة معهم إلى أن "الأمر كذلك في دور مكة وأن القادم له النزول حيث وجد، وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى"، وقال ذلك سفيان الثوري وغيره، وكذلك كان الأمر في الصدر الأول)

أقول:

حين أكتبُ وأتحدثُ مراراً عن جعل المسجد الحرام في مكة لجميع المسلمين بالتساوي، قد يظن بعض من لا اطلاع له أنني أتحدث عن نوع من ديمقراطية حديثة لا علاقة لها بصميم الدين. هذا خطأ. لاحظ كمثال ما كتبه ابن عطية الأندلسي قبل ألف سنة تقريباً، وله نظائر حتماً. لاحظ النقاط التالية:-

١-الإجماع على المسجد الحرام. يقول ابن عطية (أجمع الناس)، ليس فقط الفقهاء والعلماء بل الناس كلهم، أجمعوا على أنه ليس لأحد الاستبداد بالمسجد الحرام يُدخِل فيه من يشاء ويفعل فيه ما يشاء من دون بقية الناس.

٢-قول عمر في دور مكة. عمر بن الخطاب وغيره كانوا يرون أن للقادم على مكة أن يدخل حتى على أي منزل فيها ويسكن فيه، نعم يوجد رأي آخر واستقر عليه العمل كما ذكر ابن عطية، لكن رأي عمر هو الذي كان المعمول بمثله (في الصدر الأول).

الآن قارن هذا بالوضع الحالي تحت التسلط السعودي الوهابي. هؤلاء جعلوا الحرم بل الحرمين بل الحجاز بل الجزيرة كلها ملعباً خاصاً لهم وكأنه حوش بيتهم. نعم حين تهدم دولتهم الآثار الإسلامية ويجعلون بيت النبي عليه الصلاة والسلام في مكة مرحاضاً عاماً يتبول فيه الناس ويتغوطون-لعنهم الله- قد يقولون ما معناه "عمر بن الخطاب قطع شجرة بيعة الرضوان خوف الفتنة ونحن نخاف الفتنة على الناس لذلك نهدم"، يعني يريدون إيهامنا بأنهم يتبعون عمر، حسناً هذا رأي عمر في مكة مسجداً ومنازلاً وهو أن تكون مفتوحة للكل بالتساوي عملاً بكتاب الله. لو رأى عمر ما تقومون به من نهب الحجاج واحتكار المسجد الحرام لتعليمكم وشيوخكم وسلب الأمن عن ضيوف الرحمن من معارضيكم لقال كلمته المشهورة "دعني أضرب عنقه".

...

سورة الإخلاص أربع آيات لأن الذين كدّروا التوحيد أربعة فِرَق وهم الذين ذكرهم في قوله تعالى "إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا". فالناس ثلاث فرق بالمعيار المعتبر عند الله وهو معيار التوحيد: فرقة التوحيد الخالص "الذين ءامنوا" وهم أصحاب الجنة بوعد الله الصادق، وفرقة الشرك الخالص "الذين أشركوا" وهم أصحاب النار بوعيد الرحمن، وفرقة التوحيد المشوب والمُكدَّر وهم أربع طوائف "الذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس" وهم أصحاب الأعراف ما بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم وهم في منزلة ما بين الوعد والوعيد لأنهم خلطوا التوحيد بضدّه.

الذين هادوا هم كل مَن اعتقد شيئاً خلاف "قل هو الله أحد"، كأن يُنكر "قل" أي النبوة كالذين قالوا "ما نزل الله على بشر من شيء"، وكأن يُنكر الأحدية.

الصابئون كل من أنكر "الله الصمد"، كأن ينسب الصمدية لما دون الله وإن اعتقد بأحدية الله، كالذين يعتقدون بصمدية أي دوام الكواكب، أو كالذين يصمدون إلى ما دون الله أي يدعون ما دونه من الملائكة أو سواهم من الخلق العلوي والسفلي.

النصارى كل من أنكر "لم يلد ولم يولد"، فأثبت أن الله والد أو له ولد أو ما ينبني عليه ذلك كاعتقاد أن له صاحبة. فكل من اعتقد أن الله يتولد منه شيء أو يتولد هو من شيء أو أنه يحتاج لما سوى ذاته لإنشاء شيء فقد كدَّر التوحيد، وإن اعتقد بأن الله هو الأحد والصمد.

المجوس من اعتقد بغير "لم يكن له كفواً أحد"، كأن يعتقد بأنه يوجد ضد لله في الوجود وهو له كفؤ، كالذين يعتقدون بأن الله إله النور وله كفؤ هو إله الظلمة، أو كالذي يعتقد بأن العالَم موجود مستقل مكافىء لله في شيء وصفة أياً كانت.

فمن آمن بسورة الإخلاص بشروطها الأربعة فهو من "الذين ءامنوا" يعني من الموحدين غير المشركين. وهو قوله تعالى "حنفاء لله غير مشركين به".

...

الذي يبني فلسفة أخلاقه على الآثار الدنيوية للأخلاق، فلا أخلاق له. لأن كل خُلُق يمكن أن تكون له آثار حسنة وسيئة، حتى أسوأ الأخلاق هذا حالها.

مثلاً، العنصرية والعصبية بناء على اللون والعِرق، هل هي خير أم شر؟ ستقول: طبعاً شر. طيب، خذ هذه المعلومة الثابتة: إلى حد كبير جداً العالَم الموجود اليوم موجود بفضل العنصرية ! بل العنصرية بأغبى وأبشع صورها. كيف؟

النازية تحت حكم هتلر كانت تسعى بكل اجتهاد لتنمية قوتها العسكرية التي هي عماد رؤيتها ومشروعها في تفوق العرق الآري. حين اضطهد النازيون اليهود، هرب علماء الفيزياء الكبار ومنهم أينشتاين وأوبنهايمر وغيرهم إلى أمريكا، وعمل هؤلاء لصالح أمريكا والحلفاء بالتبع وصنعوا لهم القنبلة الذرية. أما النازيون فكانوا يرفضون علم الفيزياء هذا الذي طوره اليهود بحجة-وهذا كلام ثابت جزماً-بحجة أن الفيزياء هي على حد تعبيرهم "علم يهودي"! فتنزهوا عن تعلم هذا "العلم اليهودي"، لأنهم الأشراف الآريون طبعاً ولا ينبغي لهم الاختلاط بمثل هذه الأمور المنحطة. وكانت النتيجة أن الأمريكان ومن معهم من الدول الديمقراطية غلبت الدول الديكتاتورية لأنهم تعلموا واستفادوا من ذلك "العلم اليهودي". ولولا عنصرية النازية فلعلهم كانوا سيمتلكون أيضاً قنبلة ذرية، وتستطيع تخيل النتيجة وبمجرد تذكر أن هتلر كان يرفض الاستسلام لدرجة أنه أطلق الرصاص على رأسه وحبيبته قبل القبض عليه، فلا أظن أنه كان سيتورع عن إطلاق نووي لإنقاذ دولته الطاغية الفاشلة. إذن، ما الذي أنقذ العالَم من امتداد الديكتاتورية المنهجية؟ العنصرية !

مثال آخر: المكسيك. كثير من المكسيكان ولعل أغلبهم ينظرون إلى أمريكا نظرة سيئة لأسباب من أهمها أنهم يعتبرون أمريكا محتلة لأراضيهم في تكساس وكاليفورنيا وولايات أخرى. لكن ما لا يعلمه الكثير منهم هو أنه لولا عنصرية بعض أصحاب القرار من الأمريكان في منتصف القرن التاسع عشر فلعل المكسيك اليوم كلها كانت تحت الحكم الأمريكي. كيف؟ باختصار:

أراد من كان لهم الحكم أن يشتروا أراضي كانت تابعة للمكسيك، فرفض المكسيكان. فعمل الرئيس الأمريكي حينها على ارتكاب خطوة ليس عدواناً صريحاً لكن فيها نوع من الاستفزاز للمكسيكان إلا أنه استفزاز نفساني وليس إعلاناً للحرب، وذلك بإرسال بعض جنوده

لمنطقة متنازع عليها عند تكساس (والتي ثار أهلها على الحكومة المكسيكية من قبل)، فجاء جنود مكسيكان وقتلوا ١١ جندياً أمريكاً، فكانوا هم أصحاب الابتداء بالعدوان الصريح فاتخذها الأمريكان حجة شرعية وأعلنوا الحرب. وفعلاً وصلت القوات الأمريكية إلى حد العاصمة المكسيكية (هذه معلومة لا يعرفها حتى بعض المثقفين ممن لقيتهم من المكسيكان). ثم عُقِد صلح، وتراجع الأمريكان عن العاصمة وكثير من الأراضي التي هي إلى اليوم مكسيكية في الشمال، بل ودفعوا مبلغاً مقابل الأراضي التي كان لهم بحق السلاح أخذها مجاناً ومنها أرض كاليفورنيا. لكن السؤال: لماذا لم يحتلوا كل المكسيك ويجعلوها بحق الفتح عنوة (بالمصطلح الفقهي الإسلامي) جزءاً من أمريكا؟ لما أرجعوها للمكسيكان؟ الجواب: العنصرية ! نعم، قالوا حينها أن أمريكا دولة أصلاً للبيض والبروتستانت بينما المكسيك لونهم بُنّي ومذهبهم كاثوليكي فلم يرغبوا بخلطهم بهم. العنصرية والطائفية هما سبب وجود شيء اسمه المكسيك اليوم.

الحاصل: الأخلاق إن بُنِيَت على الأثر الدنيوي فلن تكون إلا نسبية وسبباً للحيرة. لذلك أرى بناء الأخلاق على الأثر الأخروي بل وما فوق ذلك وهو التخلّق بأخلاق الله تعالى لأن ذلك من كرامة النفس ومن هنا عرّفنا بأسمائه الحسنى. "وإنك لعلى خُلُق عظيم" لأن خُلُقه من أخلاق العظيم تعالى، فلما رأى الله رؤوفاً رحيما صار رؤوفاً رحيما وعلى هذا النمط. أخلاق أهل الدنيا وسائل وظلال، وأخلاق أهل الله والآخرة مقاصد وحقائق.

...

(فتعالى الله الملك الحق ، ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يُقضى إليك وحيه ، وقل رب زدني علما.)

*تحليلها الحرفي والعددي:

-سورة طه الآية ١١٤.

-فيها ١٧ كلمة و ٣ جُمَل : ٤/ ٩ / ٤. // جمع كلماتها ٨.

-حروفها المكتوبة ٦٥ : ١٨/ ٣٤/ ١٣. // ان مع ٦-٥ يساوي ١١ // جمع جمعه ٢.

-جمع أسماء حروفها ١٧٩: ٥٠/ ٩٣/ ٣٦ // جمع ١-٧-٩ يساوي ١٧. // جمع جمعه ٨.

-كلماتها بأسماء حروفها: ١٣/ ١١/ ١٥/ ١١/ ٣/ ٦/ ١١/ ٢٢/ ٦/ ٨/ ٦/ ١١/ ١١/ ٩/ ٣/ ٦/ ٤/ ١١/ ١٢. -أصناف أعدادها ١٠ وهي

٣(و،و)-٤(رب)-٦(لا،من،أن،قل)-٨(قبل)-٩(وحيه)-١١(الله،الحق،تعجل،يقضى،إليك،زدني)-١٢(علما)-١٣(فتعالى)-١٥(الملك)-٢٢(بالقرءان).
-أصناف أصناف أعدادها ٤ وهي
٧مفردات، ١مثنى، ١مربع، ١مسدس.

*تأويلات لتحليلها الحرفي والعددي:
-سورة طه سورة الكلمة، الانتقال من الصمت إلى الكلام الذي هو خاصية الإنسان.
-عدد الآية ١١٤ بعدد سور القرءان الذي هو الكلمة التامة.
-عدد جُملها ٣ لأن الوجود بالنسبة للإنسان يتلخص في ثلاثة وهو الله والقرءان والنبي أي المتكلم والكلام والكليم. كذلك لأن العقل يحكم بثلاثة إما بالوجوب وإما بالإمكان وإما بالاستحالة، فالله هو الواجب لذاته والقرءان هو الممكن لذاته الواجب بالله والإنسان هو الفقير المعدوم "الله الغني وأنتم الفقراء" ولذلك قال النبي "الفقر فخري".
-عدد كلماتها ١٧ بعدد حروف كلمات النور في آية النور وذلك لأن هذه الآية كشفت النور التام، ومنه كانت ركعات صلاة الفريضة اليومية ١٧ ركعة. كذلك جمع أسماء حروفها ينتهى إلى ١٧ كعدد كلماتها.
-جمع ١-٧ يعطي ٨ وهو عدد أبواب الجنة. لأن هذه الآية فيها الجنة كلها.
-حروفها المكتوبة جمعها الثاني ١١ وجمعه ٢: لأن هذه الآية ذكرت الواحد تعالى الذي أنزل الواحد القرءان على الخليفة المُصلّي الذي له الدرجة الثانية إذ الخلافة ثانية. وأما ٦٥ التي هي عدد حروف أسمائها فتدل على عُمر النبي حين توفي كما روي عن ابن عباس، فقُضي عمره كما قُضي إليه وحيه.
-أصناف أعداد كلماتها بحسب أسماء حروفها ١٠ وهو عدد الكمال "تلك عشرة كاملة"، كما أن هذه الآية أكملت بيان جوهر الأمر والدين كله.
-أصناف أعدادها ٤: كعدد كلمات البسملة وهو الاعتدال التام، كما أن هذه الآية فيها العدل والاعتدال التام في بيان الأمر كله. وأصنافها واحد كالهوية الأحدية، وواحد كالحروف الغيبية، وواحد كالأسماء الإلهية، ثم سبعة تمثّل النفوس العالية المستنيرة.
-ربط الكلمات ذات العدد (١١): الله هو الحق في ذاته وكل ما هو حق فبه صار حقاً، وهو الذي يقضي إليك لأنك خليفته مرآة قضاؤه، وتكليفك عدمي وهو عدم العجلة وإيجادي وهو طلب الزيادة. أما العدد ١١ هنا فيشير إلى صلة الواحد المتعالي بالواحد الكامل الذي هو النبي، لذلك اسم الله يساوي عدده اسم "إليك" المشير للنبي لأنه عبده وخليفته.

-ربط الكلمات ذات العدد (٦): "لا" سكون قلبك في الفراغ، "من-أن" بداية ونهاية الوحي النازل على قلبك، "قل" بيان ما استقر في قلبك من الوحي. أما العدد ٦ هنا فيشير إلى أيام الخلق الستة، فخلق الوحي في القلب هو التأويل الباطني لعملية خلق العوالم في الظاهر. ويشير إلى التدرج والتمام لأن ٦ هي واحد واثنين وثلاثة وهم أصول الأعداد كلها إلى مالانهاية، كما أن القرءان لانهاية لمعانيه "لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي".

*قراءة الآية:

١-(فتعالى الله الملك الحق):

جمعت ما بين التعالي والتجلي، نصفها الأول تعالي (فتعالى الله) وهو غناه عن العالمين، ونصفها الآخر تجلي (الملك الحق) وهو ربوبيته للعالمين بواسطة الأسماء الحسنى التي ترجع إلى الفعل والعقل، فاسم (الملك) يجمع معاني الفعل والإرادة والإيجاد، وَاسم (الحق) يجمع معاني العقل والواقع والوجود.

فمن تعاليه بيّن الحقيقة، ومن ملكيته أمر بالشريعة، ومن حقانيته ذكَّر بالطريقة. وباسمه (الله) جمع كل ذلك، فهو الاسم الجامع لكل معاني التعالي ومباني التجلي.

٢-(ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يُقضى إليك وحيه):

للقرءان تنزيل وفقه وتأويل. تنزيله كلماته العربية، فقهه معرفة معانيه، تأويله تحقق أخباره في الواقع.

العجلة في التنزيل أن تحرك به لسانك باللفظ بدون فهم. أو المسارعة بالتلفظ به لتبليغ الجزء الذي عرفته لغيرك قبل تمام بيان الآية أو السورة وفي ذلك تقصير في البيان كالذي يعجل بالنطق بويل للمصلين قبل انقضاء الوحي ببيان نوع المصلين الذين لهم الويل فيحدث تحريف وإضلال.

العجلة في الفقه أن تشرح حكماً أو فكرة قبل معرفة جميع أبعادها من القرءان كله، كالذي يفتي بوجوب قتل الناس على الدين أخذاً من "قاتلوا الذين لا يؤمنون" وترك آيات تُكمل الموضوع مثل "لا تعتدوا" و "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين".

العجلة في التأويل أن تتعجّل ظهور النبأ إما بالدعاء على الكافرين لكفرهم، وإما بمقاتلتهم لا لشيء إلا لأقوالهم ولدينهم، وإما بتفسير الآيات بنحو يجعل معناها دنيوي بحت وسياسي صِرف.

أنواع العجلة الثلاثة كلها واقعة في الأمة. وهذه من النواهي العظمى التي أعرض عنها أكثر المسلمين.

٣-(وقل رب زدني علما):

الأصل في سبب نزول القرءان من الله للإنسان هو حتى يرجع الإنسان بالقرءان إلى الله. (و) أثر الوحي، هو (قل) تحوّل قلبك بروحه وبالتالي قولك الذي هو صورة قلبك، (ربِّ) فأول ما رجع رجع إلى ربه بسبب الوحي. فالذي يأخذ القرءان ويصبح همه كله ما دون ربه فقد لعب به الشيطان ولا حظ له في روح القرءان.

من آثار الوحي عند أهل القرءان هو الشعور الدائم بالقصور، لذلك يقول (زدني)، ولا يطلب الزيادة إلا المستشعر للقصور. القصور مبني على رؤية كمال ومقارنة نفسك به، فما هو الكمال هنا الذي جعله يقول (زدني)؟ هو كمال (ربِّ) التي قبلها. فمن عرف ربّه بالتعالي واللاتناهي، استشعر دوام القصور.

الأثر الثالث للوحي عند أهله حقاً هو تغيير منظومة قيمهم وغايتهم في الحياة، وتصبح قيمة العلم هي القيمة المركزية والكبرى عندهم، لذلك قال (علماً)، فلم يطلب الزيادة من ربه إلا في العلم، لماذا؟ لأنه نظر في حقيقة (فتعالى الله الملك الحق) فعرف أنه محدود لا حظ له في التعالي، وعرف أنه عبد لاحظ له في الربوبية، وعرف أنه مملوك فلا يكون ملكاً وليس له من الأمر شيء بل الأمر كله لله، فلم يجد باباً يدخل منه وسُلّماً يرتقي فيه إلا باب (الحق) أي العلم لأن العلم معرفة الحق، فعرف أن العلم هو الوسيلة الوحيدة للتقرب إلى الله، والصفة الوحيدة التي يمكن أن يتصل فيها بربه ويخلفه فيها، ومصداقاً لهذا جاءت قصة ءادم بعد هذه الآية وهو الذي تعلم من الله وعلّم الملائكة خلافةً عن الله.

جملة (وقل رب زدني علما) توازي عكسياً وتطابق عددياً وكيفياً جملة (فتعالى الله الملك الحق).

فقوله (فتعالى) يوازي (وقل) فالقول منك في العالَم لأن الله يتعالى عنه "لا يملكون منه خطاباً"، فقولنا يعكس تعاليه.

وَقوله (الله) يوازي (ربِّ) وهو ظاهر وكذلك لأنه لا يعرف من الله المطلق إلا ما يعطيه بربوبيته المقيدة به.

وَقوله (الملك) يوازي (زدني) لأنه طلب فعلي وقسمة رحمة من الخزائن التي بيد الله الذي بيده المُلك والملكوت، فلا فعل وإيجاد إلا بإذن وعطاء الملك سبحانه، فلما طلب الزيادة وهي عطاء وإيجاد طلبها من مصدرها وهو الملك.

وَقوله (الحق) يوازي (علماً) وهو ظاهر لأن العلم معرفة الحق، وكل معلومة فهي شعاع من اسم الحق ولذلك تعلمها عبادة والصدق فيها عبادة والقيام بها عبادة للحق سبحانه. ولذلك كلمة (زدني) عدد حروف أسمائها كعدد (الله) و (الحق)، لأن الزيادة من العلم بالحق هي الوسيلة الوحيدة للاقتراب من الله، ولذلك ختم سورة "اقرأ" بأمر "واسجد واقترب" فدعاء (رب زدني علما) سجود وحصول العلم فيك اقتراب، والاقتراب لانهاية له لأن العلم لانهاية له ولذلك طلب الزيادة مفتوح (زدني علماً) ولم يطلب علماً محدداً بشيء، ولا حتى ما قاله في داود "علمه مما يشاء" على اعتبار المشيئة هنا لداود فهنا العلم مقيد بمشيئة داود لكن في دعاء (رب زدني علما) علّق العلم بذات ربه فلا حد له إذن. والحمد لله.

...

(وقالت اليهود "يد الله مغلولة")

القرءان أمثال وللأمثال أسماء وللأسماء أقوال وأفعال وأحوال، والعبرة منها هي معرفة كل واحد لنفسه وما ينطبق عليها من تلك الأمثال حتى يعلم عاقبته لأن كل مَثَل له عاقبة في الدنيا وفي الآخرة وعند الله.

النفس اليهودية، تقول "يد الله مغلولة". إذا وجدت مَن يقول مثل هذه المقالة فاعلم أن فيه خصلة من خصال اليهود كائناً مَن كان. فما معنى "يد الله مغلولة"؟

اليد هي التي تخلق وتعطي وتأخذ وتبطش، فتخلق "السماء بنيناها بأيد"، وتعطي "الفضل بيد الله يؤتيه"، وتأخذ "خُذ بيدك ضغثاً"، وتبطش "أم لهم أيدٍ يبطشون بها". ثم اليد تتعلق بالمُلك وبالملكوت، فالملك "تبارك الذي بيده الملك" و "تنزع الملك ممن تشاء بيدك الخير"، والملكوت "فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء".

الآن ماذا قصد اليهود هنا تحديداً ب"يد الله مغلولة"؟ السياق يعطي أن أول قصدهم هو الوحي. يعني لما جاء محمد بالقرءان كذبوه بحجة أن الله لا يعطي وحياً لمثل محمد الأمي العربي. فمن الآيات التي تصرّح بهذا المعنى قولهم "ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله، ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم." فالفضل هنا هو الوحي، فاليهود يعتقدون بأنهم وحدهم عندهم الدين من الله وتميّزهم عن غيرهم هو بهذا الدين. ولاحظ "الفضل بيد الله يؤتيه"، فيد الله هنا هي التي تعطي فضل الوحي، وفي الآية التي بعدها مباشرة والتي تكملها قال "يختص برحمته مَن يشاء" فالرحمة أيضاً الوحي ولذلك سمى القرءان رحمةً. ولاحظ في الآية حصر وتقييد اليهود للوحي في أنفسهم وأتباع دينهم ودينهم، بينما رد القرءان عليهم برفع الحصر وفك القيد وإرجاع الأمر إلى سعة وإطلاق الله تعالى. تذكر هذا.

من الآيات التي تذكر الموضوع بالأمثال قوله "وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون." فالرياح مَثل على الملائكة والروح التي يرسلها "بين يدي رحمته" أي "يدي" الله هنا ورحمته هي وحيه، والبلد الميت قلب النبي الأمي كما قال "كذلك أوحينا إلى روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب" فعدم الدراية موت، ثم "أخرجنا به من كل الثمرات" مثل "جعلنا نوراً نهدي به من نشاء" وهي كل الآيات والأمثال "صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مَثَل"، وختم ب"لعلكم تذكرون" مثل قوله "يسرنا القرءان للذِّكر فهل من مُدَّكِر". إذن، الوحي في باطن العالَم مثل الرزق بالماء والثمار وإرسال الرياح في ظاهر العالِم، كلاهما من سنن الله ويدي رحمته وبسطه.

نرجع لليهود، "يد الله مغلولة". يعني الوحي انقطع والدين عندنا فقط والله لن يعطي وحياً في المستقبل لأحد. من اللطيف أن كلمة "مغلولة" ستة أحرف، وذكر الله هنا ستة سيئات لليهود مرتبطة باعتقادهم بهذه المقالة في الله.

السيئة الأولى (غُلَّت أيديهم): بعض الجهلة يتخيل أن ربنا يرد على الشتيمة بشتيمة وكأننا في الشارع نسمح تحاوراً بين زعران، يتخيّل هؤلاء الذين هجروا القرءان ولم يقدروا الله حق قدره أن اليهود لما قالت "يد الله مغلولة" جاءتهم شتيمة بمثلها "غُلَّت أيديهم". تحويل القرءان من كتاب حكم وعلم إلى كتاب استئناس وعاطفة هو واحد من أركان الدين اليهودي المنتشر بين كثير من الناس باسم الدين "الإسلامي" زوراً، وهو دين الذين "لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون"، بل هو دين أحد أصول عقائده عقيدة "يد الله مغلولة" لكن بلفظ مختلف والمعنى واحد (عقيدة ختم النبوة حسب لفظهم المحرّف ومعناهم المخترع-كما رأينا وسنرى إن شاء الله). الحق أن بيان "غُلَّت أيديهم" بيان مُجرَّد عن السبب الحقيقي النفسي لقولهم "يد الله مغلولة". قاسوا الله على أنفسهم، وحكموا على فعل الله بحسب هواهم وما يرونه مصلحتهم. أرادوا تمييز أنفسهم عن الناس والاستعلاء عليهم فاحتالوا لذلك بالدين وأن الدين عندهم فقط ولا يؤتى الوحي والروح إلا هم. ثم صاروا يكتمون البينات ويخفون الكتاب وباختصار يحتكرون الدين كما يحتكر التاجر الخاطىء بضاعته ليغلي من ثمنها وليرجع الناس إليه فيها. "غُلَّت أيديهم" وبسبب ذلك وحتى يرسموا صورة حسنة لغل أيديهم قالوا "يد الله مغلولة" وكأنهم مجرد أبرياء يقولون بلازم الحقيقة ومقتضى الشريعة. ما تكونه ستقوله، وما تقوله ستكونه. اعتقادك في الله سينعكس على نفسك، وحالة نفسك ستنعكس في عقيدتك.

السيئة الثانية (وَلُعنوا بما قالوا): القول يقتضي اللعن وكذلك الرحمة التي هي ضدها كما قال "عليهم صلوات من ربهم ورحمة" للذين قالوا "إنا لله" في المصيبة وغيرها من الأدلة التي تُرتّب الرحمة على القول. فقولك إما سبب لعنتك وإما سبب رحمتك. هنا القول لعنة. لماذا؟ لوجوه منها أن قول "يد الله مغلولة" يعني رفض هؤلاء لتلقي رحمة الله لهم أي روحه ووحيه ودينه الحي المختص بهم، لأنهم سيتمسكون بالقديم فقط وما لم يعد يكلمهم ولا يهديهم وسيتركون الله ويذهبون للبشر حصراً كمصدر للدين وسيفضلون أهل الفكر واللفظ على أهل الروح والرسالة الحية في زمانهم كما فعل هؤلاء اليهود الذين هم وغيرهم "فرحوا بما عندهم من العلم" فكفروا بالرسول المعاصر لهم. كالذي لديه فاكهة ورثها من أجداده لكنها تعفنت وهو مُصر على عدم أخذ الثمرات المحدثة برحمة الله الحية، فيتعذب بأكلها وشكلها ورائحتها ويتسمم بها في نهاية المطاف، هذا حال العقل عند أصحاب عقيدة الغِل.

السيئة الثالثة (وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفرا): ورود هذه العبارة هنا يدل على ما سبق من أن عقيدة الغل تتعلق بالوحي. نعم، فعلاً إذا اعتقدت بأن "يد الله مغلولة" فالوحي الحق انقطع، بالتالي إذا جاء شخص بوحي جديد وذكر مُحدَث فستعتقد كذبه حتى قبل أن تنظر في كتابه وكلامه وهل هو حق مصدق لما معك أم لا أو أي شيء. فإذا جاء بوحي فيه حكم شرعي جديد فسيزيدك طغياناً لأنك سترفضه، وإذا جاء بوحي فيه بيان علمي جديد فسيزيدك كفراً لأنه ستُعرِض عنه أو تكذّبه. عقيدة الغل تجعل القلب مليء ببذور أشجار مسمومة مُرّة، فكلما نزل عليها ماء وحي كلما أنبتت طلعاً كأنه رؤوس الشياطين. لا أقل هذا حال الكثير منهم.

السيئة الرابعة (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة): يعني التحزب والتفرق والطائفية الدينية بأسوأ المعاني، وهو الحاصل عند كل أهل الأديان الميتة في الأرض الذين اجتمعوا على عقيدة "يد الله مغلولة". لأنهم يختلفون في معنى الوحي في أحسن الأحوال ولا أحد منهم يرجع إلى الله ويأخذ من يده معنى كلامه، فالنتيجة عداوة لتضارب الآراء وبغضاء لتضاد القلوب، إلى يوم القيامة لأنهم جزموا بأن لا وحي محدث ما دامت الدنيا لاعتقادهم بغل يد الله من بعد لحظة حدوث وحي الرسول القديم الذي مات إلى يوم القيامة، هذا إن كان أول دينهم رسول حقاً.

السيئة الخامسة (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله): يعني الحرب على رسول الله الحي المعاصر لهم، والحرب إما لإبادته ومن معه حتى يزول اعتقاد الناس بالوحي المحدث وبسط يد الله ومن فروع ذلك اجتماع هؤلاء على قتل مَن يدعي بسط يد الله بحجة أنه مرتد وكافر وسبب للفتنة ونحو ذلك، وإما الحرب بمعنى الجدال لإبادة الفكرة ذاتها. أي حرب الجسم أو حرب

العلم. "أطفأها الله" بعصمة رسوله ودفاع أنصاره في حرب الجسم، وبتأييد رسوله بالحجج البينة الدامغة في حرب العلم. أصحاب عقيدة الغل أشد ما عليهم رؤية من يعتقد ببسط يد الله، قد يتحملون كل شيء إلا هذه فتشعل ناراً في نفوسهم والحق أن هذه النار تذكير لهم بالنار الأبدية لو كانوا يعقلون لكن لجعلهم تتحول هذه النار إلى غضب وكذب فبالغضب يوقدون نار حرب الجسم وبالكذب يوقدون نار حرب العلم.

السيئة السادسة (ويسعون في الأرض فساداً): لماذا وكيف؟ لأن فساد الناس ومعايشهم يساعدهم على عقيدتهم في تميزهم الديني، فبانشغال الناس بالمعايش الصعبة ينشغلون عن العمل الروحي والالتفات لله وآياته وللنظر وهذه أكبر حجة لكهنة الدين في كل مكان، وكذلك بترويج الفساد العقلي والأخلاقي ولو بغلاف الترويج للفضيلة-كترويج أعمال مضادة للفطرة ومستحيلة حتى يعجز عنها الناس فيعتقدون فساد أنفسهم فيفسدون فعلاً ولا يبالون-بمثل هذا تنحجب القلوب بالظلمات وفعلاً لا يأخذون العطاء الإلهي الحي. كالذين يكسحون الناس حتى لا يذهبوا إلى الثمار المعلقة على الأشجار حتى يضطروا للرجوع إليهم ليأكلوا. شيوخ دين الغل هم أكبر سبب للفساد في الأرض، أينما كانوا. الفساد السياسي والتجاري حوت يسبح في بحر الفساد الديني.

الرد على القول يكون ببيان السيئات لكن أيضاً ببيان الحسنات. وفي الآية ذكر لأربع حسنات.

الحسنة الأولى (بل): من قوله "ولعنوا بما قالوا بل يداه". فكلمة (بل) هنا تبيّن أن قولهم ذاك له بديل، هو قول برأي نسبي منسوب لصاحبه. (بل) تفتح باب للعقل ليتخلص من ذلك الرأي المظلم. ورؤية العقل لذلك حسنة بل باب الحسنات.

الحسنة الثانية (يداه مبسوطتان): بيان ذاتي. (يداه) مثل "يرسل الرياح بين يدي رحمته"، يد المُلك "بيده الملك"، ويد الملكوت "بيده ملكوت". فالله "بيده الخير"، الخير واحد. لكن هذا الخير حين يتنزل ينقسم إلى قسمين بحسب العالَمَين الملكي الظاهري والملكوتي الباطني، (يداه مبسوطتان). وبما أن "الآخرة خيرٌ وأبقى" و "للآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا"، والآخرة باطن الدنيا "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون"، والوحي من الروح الذي هو باطن "بما أوحينا إليك هذا القرءان وإن كنت من قبله لمن الغافلين"، فالنتيجة هي أن عطاء الله الروحي أعظم من عطائه الطبيعي. يعني العطاء الطبيعي وهو يد المُلك يدل على ما يحدث في العطاء الروحي وهو يد الملكوت، يدل من باب الإشارة إلى الحد الأدنى، يعني ما تراه في الطبيعة يمثّل في أعلاه أقل ما في الملكوت، لذلك قال "متاع الدنيا قليل" كل الدنيا بكل متاعها من أولها إلى آخرها "قليل"، لكن أمر الآخرة العليا "مُلكاً عظيماً". طيب. الآن

انظر في الطبيعة: هل الله يرزق الأجسام فيها بثمار متجددة؟ نعم. هل الله يرسل الرياح؟ أنا الآن أكتب هذا وصوت الرياح في أذني. هل الشمس تضيء بضوء متجدد أم أعطت شعاعاً وانكسفت إلى آخر الدهر أو انقرضت وسلبنا الله نعمتها؟ وهكذا. انظر في الآفاق وفي نفسك وسترى أن يد الله مبسوطة. فإذا كنت ترى يد مُلكه مبسوطة بالخير فاعلم يقيناً أن يد ملكوته مبسوطة بالخير الأكبر. تمام. ما هو عطاء الله الملكوتي وفضله العظيم للنفس؟ قال الله "وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً"، فهو العلم "يعلمكم الله" "الرحمن. علّم القرءان". كيف يجزي الله المحسنين؟ قال الله "آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين" فهو عطاء الحكم والعلم. يد المُلك مبسوطة برزق الجسم ويد الملكوت مبسوطة برزق العلم.

الحسنة الثالثة (يُنفق كيف يشاء): بيان فعلي. فالعبارة السابقة "يداه مبسوطتان" تدل على أمر ذاتي ثابت لله تعالى، من هنا تعلم كذب بل كفر الذين يقولون "يد الله مغلولة" أو بصورة أخرى كما قال آل فرعون عن يوسف "حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا"، أو بصورتها المحرفة عند الجبناء ورثة اليهود بالمعنى القرءاني لليهود "انقطع الوحي" و "لا نبي ولا رسول إلى يوم القيامة". هذا ادعاء بأن سنة الله تبدلت، وأن يد الله انقبضت، كلاهما كذب وكفر وافتراء على الله على مستوى الذات وعلى مستوى الفعل. هنا العبارة فعلية "يُنفق كيف يشاء"، فالإنفاق تابع للمشيئة والمشيئة لا تتقيّد في ذاتها بشيء لذلك تأتي المشيئة حتى فيما لم يقع مثل "لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك" "قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به"، فالمشيئة أوسع شيء وفيها الممكنات كلها ما وقع منها وما لم يقع. وهنا علّق القرءان الإنفاق الفعلي بالمشيئة (يُنفق كيف يشاء)، والكيفية حد ومظهر معين، بمعنى أنه ليس لإنسان أن يُحدد لله كيف سيُنفق ومظهر إنفاقه، اليهود يفعلون ذلك أيضاً لاحظ الترابط "ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن يُنزّل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين. وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم". هذه الآيات تفصيل لكل ما سبق بنحو لا يحتاج لشرح وتبيّن العقيدة اليهودية فكرةً وشعوراً وقولاً وفعلاً. بعبارة أخرى، الله أنفق وحياً على محمد بكيفية عربية، فرفضوا لأنهم لا يرضون بكيفية محمد ولا كيفية لسانه، وكذلك فعل قوم النبي بقولهم "ائتِ بقرءان غير هذا أو بدله" فاعترضوا على كيفية البيان، وبقولهم "لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم" فاعترضوا على كيفية الإنسان. فالله (ينفق كيف يشاء) ومجلى إنفاقه العلمي سيكون بياناً وإنساناً، ليس لأحد الاعتراض على البيان أو الإنسان

بالاعتقاد مسبقاً بأن الله لا ينفق بكيفية كذا بل لابد من أن ينفق بكيفية كذا وكذا. العقيدة التي تقيّد الكيفية هي عقيدة كفرية.

هنا قال "الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم"، لأنه أطلق الكيفية فدل على أنها من اسم الواسع، لكن مضمون الإنفاق سيكون من اسم العليم لأنه علم. فالإنفاق كيفيته واسعة وحقيقته علمية. إذا وجدت نفسك ترفض الكلام لأنه جاء من شخص لا يتبع دينك أو ليس من شعبك أو قبيلتك أو أي قيد إنساني، أو لأنه جاء أصلاً بلغة غير لغتك أو بتركيب لفظي غير ما اعتدت عليه حسب تربيتك ومحيطك، أو أي قيد كيفي آخر، فاعلم أن فيك يهودية بحسب التسمية القرءانية النفسية.

الحسنة الرابعة (والله لا يحب المفسدين): أبرز مثال للمفسدين في القرءان هم آل فرعون، فانظر في خصائصهم وستجدها حتماً في أصحاب عقيدة الغل. لا أحد يظن أنه مفسد عادةً، بل يعتقدون أنهم من المصلحين. هذه الآية تبيّن مصداقاً صريحاً وعلامة قاطعة للمفسدين، وهم أصحاب مقالة "يد الله مغلولة"، والذين يعملون في الأرض ومع الناس على أساس تلك المقالة وما يتفرع عنها وما تنبني هي عليه. الله يحب ولا يحب، والمفسد وهو هنا صاحب عقيدة الغل هو ممن لا يحبه، بالتالي الذي يؤمن ببسط يدي الله يحبه الله، لذلك ستجد في دين المؤمنين ببسط يد الله حباً لله وروح المحبة و جمال الحب، والعكس ستجده عادةً عند أصحاب جحيم عقيدة الغل وقبض يد الله برزق النفس العلمي ورزق الحس الطبيعي. فالحب والانبساط للمؤمن بالبسط الإلهي، والغضب والانقباض للكافر بالبسط الإلهي.

تبقى مسألة: إذا كانت (يداه مبسوطتان) فلماذا لا يجد كل إنسان في قلبه فيوضات الوحي وآثار النور الإلهي؟ الجواب:

في الطبيعة يوجد رزق عظيم متوفر ومبسوط، لكن حتى يحصل عليه الإنسان لابد من أن يؤمن بوجوده ثم يذهب فيبحث عنه أو يزرعه ثم يبذل جهداً ليأكله. جعله الله كذلك كرامةً للإنسان حتى يكون أجره "غير ممنون" لأنه عمل له. "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون". فرحمة الله بسطت الرزق في الطبيعة، وتكريمه لبني ءادم جعل عمله سبباً لنيل الرزق، وإن كان أكثر رزقه لا يعمل له مثل دقات قلبه وجريان دمه حتى يعلم أن البسط يكون بالوهب وبلا تسبب وكسب أيضاً بل أصلاً هو كذلك.

كذلك الأمر في رزق النفس:

أ-"الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين". فالله معك قبل وجدانك لثمار المجاهدة وهي الفتح العلمي، ومعيته لك بلا سبب منك ولا مجاهدة، وهي أعظم نعمة عند أهل الذكر.

ب-ثم المجاهدة شرط مثل المشي في الطبيعة للأكل.

ج-كذلك إيمانك شرط سابق، إيمانك بأن الله سيعطيك ويده مبسوطة بفضل العلم والروح شرط ومن هنا بين خطورة عقيدة "يد الله مغلولة" فالفكرة تقيد وتلون وتشكل القلب "فكر وقدّر. فقُتِلَ كيف قدَّر".

د-الرجاء من الله ورحمته شرط، "وترجون من الله" و "ما كنت ترجوا أن يُلقى إليك الكتاب إلا رحمةً من ربك".

ه-الذكر والتسبيح سبب عظيم وضعه الله. "يـأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبحوه بكرةً وأصيلاً. هو الذي يُصلي عليكم وملائكته ليُخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما." فالذكر والتسبيح سبب لصلاة الله وملائكته عليك فيشرق عليك النور الإلهي ويختصك برحمته.

و-الصبر شرط. "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا".

هذه ستة أمور: الوعي والمجاهدة والإيمان والرجاء والأذكار والصبر. وسابعها إخلاص القصد لله وإرادة وجهه وليس إرادة العلم منه حتى تبغي على الناس وتعلو في الأرض بل "يريدون وجهه". فإن جمعت هذه السماوات السبعة فسترى عرش أمر روحه مستقراً على قلبك السليم بإذنه ورحمته وهو أرحم الراحمين.

لاحظ أنهم قالوا بالمفرد "يد الله مغلولة"، "يد" بالمفرد. لكن رد الله عليهم بالمثنى "يداه مبسوطتان". لماذا؟ لأنه لا يوجد مؤمن بالله ينكر بسط يد الله الملكية الظاهرية الطبيعية، لأنه يرى بالحس ويأكل بالجسم من ثمرات يد الله الظاهرية. لكنهم ينكرون بسط يد الله الملكوتية بالعلم. فرد عليهم بنفس قولهم. لأن إنكارهم البسط باليد الباطنة مع إقرارهم بالبسط باليد الظاهرة تناقض واضح.

...

(ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعِفوا في الأَرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم والوارثين. ونُمَكِّنَ لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون.)

الاستضعاف يتمثَّل في أربعة أمور فالقوة في أضدادها.

الأول (أئمة): يعني "جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا". فالإمامة هي الهداية بأمر الله. وبما أن الهداية بأمر الله تنقسم إلى نوعين، أمر الله التكويني وأمره التشريعي، فالإمامة أيضاً تكوينية وتشريعية. التكوينية من قوله "وما أمرنا إلا واحدة" وقوله "الروح من أمر ربي"، فالإمام التكويني هو الذي يهدي فيُغيِّر ويؤثِّر روحياً في نفس المأموم. أما التشريعية فمن قوله "جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون"، فالإمام التشريعي هو الذي يهدي بالتعليم الصادق لشريعة الله وذلك بالكلام والتبيين اللغوي.

الثاني (الوارثين): يعني "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله". وذلك بوجود مناسبة بين نفوسهم وبين الكتاب حتى تصح الوراثة. فلما كان الكتاب له ثلاث درجات وجودية، وجود طبيعي لغوي يرثه حفاظ ألفاظه وهم "ظالم لنفسه"، ووجود أمثالي قصصي رمزي يرثه أهل الفكر وهم "مقتصد"، ووجود حقيقي روحي عقلي يرثه أهل الروح وهم "سابق بالخيرات بإذن الله".

الثالث (نُمَكِّن): يعني "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمَت صوامع وبِيَع وصلوات ومساجد يُذكَر فيها اسم الله كثيرا..الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر". فالتمكين له أصل وله فروع. أصل التمكين أن يكون لك معبدك في مجتمعك، تذكر فيه اسم الله كثيراً علناً غير متخفٍّ ولا خائف بل بأمان تام لعدم الإكراه في الدين. وجذر التمكين القوة المُسلَّحة للمؤمنين التي تُرهِب عدوهم حتى من محاولة الاعتداء عليهم في دينهم، وليس تمكيناً أم يتعطف عليك شخص أو فئة فيتركونك ودينك بالقدر الذي يناسب مصلحتهم عبرك، التمكين إن لم يكن بقوتك التي تدافع بها عن نفسك ودينك فليس التمكين المقصود هنا. ثم فروع التمكين الصلاة والزكاة والأمر والنهي. فالصلاة والزكاة ما تقوم به لنفسك والأمر والنهي ما تقوم به لمجتمعك، فالصلاة حين تأمر نفسك بالمعروف والزكاة حين تنهى نفسك عن المنكر، ثم ينعكس ذلك على مجتمعك فتأمر بالمعروف وهو الصلاة الاجتماعية وتنهى عن المنكر وهي الزكاة الاجتماعية. فمن التمكين خروجك من قوقعة نفسك إلى الأفق الحر لمجتمعك، بحيث تتصل حياتك الخاصة مع حياتك العامة.

الرابع (ونُريَ): ما الذي كان يحذره فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل؟ يوجد طغيان سياسي وطغيان ديني، الأول على الأبدان بالعدوان والثاني على الأذهان بالبيان. وكلاهما مؤسس على العنف والإكراه والغصب والاحتكار. فرعون وجنوده يستعبدون الأبدان ويقتلون

طالب الحرية السياسية "وقومهما لنا ولنا عابدين" "إنا فوقهم قاهرون". هامان وجنوده يستعبدون الأذهان ويسحرون طالب الحرية الدينية والفكرية وهم السحرة الذين "سحروا أعين الناس واسترهبوهم" "يُخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى". فالحاكم له جنود بالسلاح، والشيخ له جنود بالألفاظ. ويحذرون في الحالتين تحرر بني إسرائيل "أرسِل معي بني إسرائيل ولا تعذبهم". في عصرنا وفي بلادنا: قرنا الشيطان هما فرعون وهامان، فقرن فرعون يتمثل في الحكومة السعودية، وقرن هامان يتمثل في الوهابية والليبرالية التابعة للحكومة والوهابية الأساس حتى اليوم وكلاهما يدور لفظه وسحره لأذهان الناس على عقيدة "بعزّة فرعون" وغرضهم من فرعون من سحرهم الناس هو "أئن لنا لأجراً" وثوابهم الذي يرجونه من طاغيتهم هو أن يقول لهم "نعم وإنكم إذاً لمن المقرّبين"، وحين يتبين لبعضهم ضلالهم يقولون لفرعون "ما أكرهتنا عليه من السحر" ويقولون للناس نفس الشيء أنهم كانوا تحت الإكراه، ومن خرج منهم عن أوامر فرعون عاقبه ونكّل به كما فعل بمن عصاه من السحرة وهذا ما ترونه اليوم من سجن وقتل لبعض مشايخ الوهابية وبعض المثقفين الليبراليين من غيرهم ممن تجرأ على الخروج عن نشر عقيدة "بعزّة فرعون" بإخلاص وزرعها في أعماق الناس. نحن عامّة المسلمين هم تأويل مَثَل بني إسرائيل، وفي كل بلادنا يحذر الحكام وشيوخهم المباشرين وغير المباشرين من تحررنا سياسياً ودينياً وفكرياً.

الحاصل: قوله تعالى (نريد أن نمنّ) يتضمن أربع منن كما أن كلمة (نريد) أربعة حروف احفظها بهذا: الإمامة بالهداية، وَالوراثة للكتاب، وَالتمكين بالذكر، والرؤية بالحرية.

...

لماذا وردت حروف (الم) و (حم) و (ن) وبقية الحروف بهذه الصورة في القرءان؟ الجواب: لإخراج العرب من الأمّية.

القرءان نزل على أميين لا يقرأون ولا يكتبون. بداية الخروج من الأمية تعلّم أفراد حروف اللغة، فالأمي يعرف الكلمات لكن لا يعرف الحروف المفردة وكل حرف باستقلال وبنحو غير مركب مع حرف بطريقة لغوية مفيدة لمعنى معروف.

مما يزيد في الدلالة على ذلك:

١-جاءت الحروف المقطعة كلها في أوائل السور، لأنها بداية تعلّم القراءة والكتابة.

٢-إذا جمعت عدد الحروف المقطعة مع المكرر ستجدها ٧٨ حرفاً. وهذا نفس عدد حروف أول خمس آيات من سورة العلق "اقرأ باسم ربك..اقرأ وربك..علّم الإنسان ما لم يعلم". فهي خمس آيات كما أن أكثر صيغة بلغت خمسة حروف وهي "كهيعص". والآيات تتعلق بتعليم الأمي القراءة وذلك تعليمه ما لم يعلم.

٣-أقل صيغة من حرف واحد مثل (ن-ص)، وأكثر صيغة من خمسة حروف (كهيعص)، ثم الباقي وهو الغالب ما بينهما. ذلك لأن الكلام العربي الأصلي أقله يتكون من حرف وأكثر كلمة جذرها لا يجاوز خمسة حروف.

٤-عدد السور التي وردت فيها الحروف المقطعة ٢٩ سورة، وذلك نفس عدد حروف العربية حسب رأي وحسب رأي آخر هي ٢٨ حرفاً عربية، فجاء القرءان بالعدد الأقصى.

٥-أصناف الحروف العربية كالمهموس وما أشبه من الأصناف إذا رتبته ستجد أن كل صنف منها نصفه يتكون من حروف تشتمل عليها الحروف المقطعة، فبمجرّد تعلّم الأمي لهذا النصف يكون قد انفتح له باب إكمال معرفة النصف الآخر بنفسه بيسر.

٦-عدد الحروف المقطعة بدون تكرار هو ١٤حرفاً، وذلك نصف عدد حروف العربية على الرأي الأدنى الذي يعتبرها ٢٨ حرفاً. فكذلك الأمي إذا عرف هذه انفتح له باب تعلم الباقي بسهولة.

٧-قرأ النبي الحروف المقطعة ليس ككلمة ولا كأصوات بل كأسماء. فقرأ (الم) ليس "ألم" ولا " أَ لَ مَ"، بل قرأها كما تقرأها الأمة اليوم (ألف لام ميم)، فعلّم الأميين أسماء الحروف بتعليم نبوي، وهذه قمة الخروج من الأمية حيث عرفوا الحرف باستقلاله وبصوته وباسمه حين كتبوه عرفوه بشكله لأن القرءان كُتب بإشراف النبي عند الكل وعندنا النبي هو الذي علّم المسلمين كيف يكتبوا القرءان ومن هنا مثلاً كلمة "بسم" في البسملة بغير ألف بينما في "اقرأ باسم ربك" هي بألف مع أن النطق واحد، وغير ذلك من تفاصيل خط القرءان.

الحاصل: الحروف المقطعة هو إخراج العرب من الأمية إلى القراءة والكتابة. و"سرها" هو أن النبي بعد الوحي لم يعد أمياً بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة.

والسبب الذي حجب المفسرين من أهل الفرق عن هذا المعنى هو عقيدتهم الخاطئة بأن النبي بقي أمياً بمعنى لا يقرأ ولا يخط حتى بعد الوحي. ولو أقرّوا بما بيناه لوجب عليهم إنكار تلك العقيدة. فشرّقوا وغربوا في محاولة تفسيرها وجاءوا بكل عجيبة وباطلة فراراً من نقض عقيدتهم تلك.

...

{المؤلفة قلوبهم} من قلوبهم تتبع المال وتميل إليه، يعني أفكارهم تتمحور حول طلب المال، فإذا وجدوه كفّوا شرّهم عن المسلمين وصاروا أتباعاً لجماعتهم السياسية، وليكن دينهم ما يكون. والفكرة هي أن مقاتلة هؤلاء تُكلف المال والدماء، فشراء سلامهم بالمال أيسر وأرخص وأسرع من شراء خضوعهم بالقتال. لكن هذا لا يعني أن تصبح الأمّة خاضعة لنزوات الغرباء الأعداء ليبتزوها مالها، بل لابد أن يكون المال ثمناً لطاعتهم السياسية وسلوكهم في النظام العام.

...

زعم عيينة بن حصن لأهل الطائف أثناء حصارهم أنه وبقية الناس تحت حكم النبي {أذلّ من العبيد}. وكذب فوراً وتبيّن كذبه في نفس الواقعة في غزوة الطائف، من وجوه:

منها أنه هو نفسه لما رجع إلى النبي وكشف النبي له كذبه في أنه دعاهم إلى الإسلام وبيّن له قوله {لنحن أذلّ من العبيد} وبقية القصّة، وأقرّ هو بخيانته وكلمته تلك، لم يعاقبه النبي بل سامحه، ولو كان النبي فعلاً يعامل الناس معاملة العبيد أو ما دون العبيد لفعل ما يفعله بقية الطغاة حين يتبيّن لهم من أحد جنودهم وعامّتهم أدنى خيانة وطعن فيه وأدون بكثير مما زعمه عيينة هنا، وهو أن يقتله بل لعلّه يمثّل به ليجعله عبرة للبقية، لكن النبي سامحه ولم يعاتبه حتى بعدما أقرّ بكذبه وخيانته.

وَمنها أن النبي استجاب لمطلب أهل الطائف المحاصَرين وقد بدأوا بالعدوان، حين سألوه بالله والرَّحِم أن يكفّ عن حرق زرعهم لدفعهم للخروج. وأيّ طاغية غيّر سياسته الحربية بهذا الشكل من أجل "الله والرَّحم"؟

وَمنها أن النبي استشار في أمر إكمال حصار أهل الطائف، والطاغية لا يستشير في مثل هذه المواضع خصوصاً إن كان يدعي علم الغيب والتأييد الإلهي.

ومَنها وهذا من أكبر الأدلة وأقواها على كذب عيينة، أن النبي حين استقرّ رأيه وبعد المشاورة على ترك حصار أهل الطائف اعترض المسلمون على ذلك وأعلنوا اعتراضهم على قرار النبي ورأوا أن يكملوا القتال. فترك النبي رأيهم لرأيهم وقال لهم أن يمضوا في القتال، فمضوا فعلاً وفشلوا فرجعوا طوعاً إلى رأي النبي فضحك النبي من ذلك. فهنا أوّلاً إعلان أتباع النبي الاعتراض على رأيه وفي الحرب أيضاً ولو كانوا كما زعم عيينة {أذلّ من العبيد} لما تجرأوا على ذلك وهذا أمر لعل الأحرار من الجنود لا يتجرأون عليه مع جنرالاتهم وقت الحرب خصوصاً إن كان في الأمر نوع هزيمة وعدم فتح، فقد علم الناس أن النبي أوسع وأكرم من ذلك وأنه يعاملهم معاملة أحرار وملوك لا معاملة عبيد مماليك. ثانياً لم يعاقب النبي من اعترض عليه في قراره العسكري، ولو فعل لما خالف ما يقوم به حتى قادة العسكر في أكثر الدول

حرية في عصرنا هذا، لكن النبي لم يفعل حتى هذا. ثالثاً، ترك النبي رأيه لرأيهم. رابعاً لما تبيّن فشلهم ورجوعهم إلى رأيه لم يوبخهم بل ضحك.

وَمنها بعد فشل محاولة فتح الطائف طلب بعض المسلمين من النبي أن يدعو عليهم، فلم يفعل بل دعا لهم أن يأتوا مسلمين وقد أسلموا بعد ذلك.

...

قالت: إني أقرأ كتاباً عن الدراسة المادية للوعي.

قلت: الوعي ليس آثار الوعي من التركيز والانتباه وتلقي المعلومات واليقظة. ذات الوعي هو المطلوب العلم به، فإن كانوا يستطيعون رؤيته فليدرسوه وليرونا ما هو.

...

العقل الطبيعي ليس مثل الذهن الكيماوي. لذلك الذين زعموا أن العقل مجرد كيمياء في الذهن وهرمونات، يدفعون هرمونات للمرضى لتغيير مزاجهم، ونسوا الفرق بين الحال والمزاج ووحدّوا الحال الغيبي مع المزاج المادي فخلطوا وأنتجوا بسبب أدويتهم أناس أشباه الموتى والمعوقين بزعم أنهم عالجوهم بالمخدرات والعقاقير. أرني إنسان سعيد الحال وإنسان "سعيد" بالأدوية وأستطيع بإذن الله التمييز بينهما من مجرّد النظر في وجوهما أو إن صعب التمييز ولا أراه يصعب فبالكلام معهما لدقائق معدودة. السكينة بالحال ليست مثل تسكين المزاج بالمخدرات والعقاقير.

إلا أنه من المفيد لأهل كل طريقة علمية أن يروا أقصى ما تبلغه طريقتهم حتى يقرّوا بوجود ما فوق علمهم وحاجتهم إلى ما هو أوسع من طريقتهم. كذلك أهل الطريقة المادية البحتة في بحث وتفسير كل الظواهر الإنسانية والطبيعية، لذلك فائدة لكن حتى يتبيّن النفع الأعظم وهو محدودية هذه الطريقة فإن ضحايا كثر سيسقطون ويتعذبون في الطريق.

...

تجادلت مع امرأة حاججت عن الملحدين وإن لم تكن ملحدة، فخطر في بالي هذا السؤال في إحدى مراحل الجدال وهي مرحلة الاحتجاج بمنفعة وأثر الفكرة وهي مرحلة متدنية من الجدال لكنها صالحة من وجه طلب الإنسان المصلحة، فقلت قبل هذه المرحلة أنه لابد من وجود تناسق منطقي ما بين العمل والقيمة وبين الفكرة والنظرة الوجودية، فالذي يعتقد أن الوجود عدمي لا مقصد فيه والإنسان مجرّد كائن مادي مثله مثل الحشرة في القيمة الجوهرية لابد أن تنتج عن هذه العقيدة لوازم في القيم والأعمال وإن لم يلتزم بها المعتقد في ذاته لأسباب كثيرة لكن هو المطالب بتفسير الرابطة بين مثلاً اعتقاده بالعدمية وبين عمله بالأخلاق الطيبة، فقلت في مرحلة الجدال بالمنفعة: ما الفرق بين حياة إنسان وحياة بقرة؟ لماذا نقتل البقرة ونأكلها ونقتل ملايين

البقر سنوياً بدون أن نشعر بنفس شعور سماعنا خبر مقتل إنسان ولو كان فرداً واحداً في بقعة ما من الأرض؟

قالت: لأننا تربّينا على عدم قتل الإنسان.

قلت: التربية ليست حجّة، لأن التربية نفسها لابد لها من حجّة. ثم ماذا لو تربّى الصهيوني على أن قتل الفلسطيني حلال زلال بل واجب ضروري لحماية أمنه واستقلال أرضه وتحقيق وعد دينه وتربّى على ذلك منذ نعومة أظفاره، فهل هذا يجعل القتل مباحاً.

قالت: لأن الإنسان مثل الإنسان لكن البقرة غير الإنسان.

قلت: أولاً أنا أسأل عن الفرق بين البقرة والإنسان فما هو وجه التغاير بالضبط ولماذا يؤثر على قيمة الحياة إن كانت الحياة حسب الرؤية الإلحادية شيء صدفة وطارئ ولا قيمة جوهرية أبدية له ولا متعالية فيه بل هو مثل أي حياة أخرى فلا تفرق حياة أي حيوان عن حياة الإنسان وإنما هي مجرد كيماويات وهرمونات وما أشبه. ثانياً، فماذا عن الناس الذين يرون أنفسهم متميزين عن غيرهم ولا يرون أنهم "مثل" بقية الناس، إما لاختلاف العرق أو اللون أو غير ذلك من الاعتقادات العرقية والسياسية أو حتى الدينية والفكرية، فهؤلاء لن يروا أنهم "مثل" بقية الناس فهل يحل لهم قتل أولئك الأغيار والأغراب لانعدام المثلية. ثم ما المقصود بالمثلية بالضبط هنا، ولماذا تؤثر ولماذا ينبغي أن تؤثر على إرادة قتله إن كان في ذلك مصلحة كما في قتل البقرة مصلحة الأكل.

قالت: لكن الإنسان قد يؤمن بقيمة الروح والرؤية الدينية ومع ذلك يكثر من القتل بل بأبشع الصور كما هو الحال عبر التاريخ وإلى اليوم.

قلت: كلامي الآن ليس عن العلاقة ما بين الرؤية والعمل، كلامي فقط عن الفرق بين حياة إنسان وحياة بقرة. ثم إن الذي يعتقد بقدسية الحياة الإنسانية ومع ذلك لا يراعي ذلك في العمل فيعتدي عليها فإنه مثل الملحد الذي لا يعتقد بقدسية الحياة الإنسانية ومع ذلك يراعيها ويحافظ عليها، كلاهما يعمل عملاً لا يتناسق مع رؤيته التي يدعي اعتقاده بها، فهذا ضعف في العلاقة ما بين العقل والعمل. فكما أن الملحد الذي يراعي الحياة ويسالم الناس لا يمكن الاحتجاج عليه بأن عقيدته في عدمية العالَم خاطئة، كذلك المؤمن الذي لا يراعي الحياة ويعتدي على الناس لا يمكن الاحتجاج عليه بأن عقيدته في عدمية العالَم خاطئة، عقيدتهما حجّة عليهما وليسا بحجّة على العقيدة في ذاتها. العاصي غير الكافر. وكلاهما الآن على مستوى الإيمان والكفر يعني العقيدة والرؤية والفكرة الوجودية، وليس عن مدى طاعة وعصيان مقتضاها العملي ومظهرها السلوكي. فرق بين إنسان يعتقد إباحة شرب الخمر ويشرب الخمر، وإنسان يعتقد حرمة شرب الخمر ومع ذلك يشرب الخمر.

وتوقف الجدال النافع عند هذه النقطة في هذا الموضوع.

...

في العلاقة الزوجية: الحديث في الأمور الدنيويات مثل الملح، وفي الغزليات مثل السكّر، لكنه في المعرفيات والأدبيات مثل الماء والفاكهة والنبات أي هو الغذاء الأساسي للعلاقة. علاقة الأصل في كلاهما دنيويات وحديث اجتماعي وتافه ومجرد ثرثرة ستنتهي إلى شبه أكل الملح الحاف، وكذلك بالنسبة للعلاقة التي كلها غزل أو جلّ كلامها غزلي ورومانسي وعاطفي فإنها ستجلب حرقة للمعدة وسوء الإخراج بعد ذلك. لابد أن تقوم العلاقة على الكلام في ما اكتسبه الزوجين من معارف وما يدور في نفوسهما وعقولهما من أمور الروح والأدب والفن والعلوم.

...

{ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون} الرسل يصدعون بالحق ولو كذبهم الناس ولا يخفون أنفسهم ولا تعاليمهم، لأنهم وسيلة إقامة حجّة الله على الناس يوم القيامة. وأما حملة الرسالة من أهل العلم والفكر، فإنهم قد يرفضون بل لابد أن يرفضوا الانهزام والفشل والخضوع للطاغين من الحكام أو العوام، ولذلك قد يتخفّون حمايةً لأنفسهم مثل أصحاب الكهف.

...

زعم البعض أن العرفاء لا يقولون بوحدة الوجود بل بوحدة الشهود. باطل. وهل وحدة الشهود إلا ثمرة الإيمان بوحدة الوجود ! وستشهد ماذا أيها الغافل إن لم يكن الحق تعالى، وإن لم يكن الحق في الموجود فكيف ستشهده إذن. "فأينما تولّوا فثمّ وجه الله" فرع "لله المشرق والمغرب". فقوله "لله المشرق والمغرب" حقيقة وجودة الوجود الظاهر في كل ظاهر وباطن ومتغير وثابت ونوراني وظلماني، أي الواحد الذي له الأضداد بالحقيقة وبالذات، لذلك مرّة يثبت "لله المشرق والمغرب" ومرّة ينفي "لا شرقية ولا غربية"، لأنه من حيث تعاليه "لا شرقية ولا غربية" ومن حيث تجليه "لله المشرق والمغرب"، وعلى هذ الأساس ينبني "فأينما تولوا فثم وجه الله" أي وحدة الشهود لأنه ما ثمّ غيره مشهود على الحقيقة. محاولة تخفيف شدّة وتسخيف حدّة عبارات عرفاء الصوفية هو من التحريف الذي يقوم به عبيد العوام وأذلاء الحكام أو الجهلة في أنفسهم ممن ليس أهلاً للكلام في هذا الأمر.

ومن ذلك مثلاً قول القشيري {واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس.} فزعم في الحاشية محققي كتاب الشعب المصري، الشيخ عبدالحليم محمود والدكتور محمد بن الشريف، ولا أدري أيهما كتب التعليق، زعما أن سبب هذا "لأن التمييز بينهما إنما يقع بدقيق النظر في الأحكام وكمال العلم بالحلال والحرام"، أقول: هذا

تعليل باطل وخروج عن ما كتبه القشيري. القشيري يتحدث عن التفريق الوجداني بين الإلهام والوساس، وأن من {كان أكله من الحرام} فإن نفسه ستتأثر وقلبه سيظلم وبالتالي يغيب عنه الفرقان الباطني بينهما. فلا علاقة للتمييز بمعرفة الفقه، فإن معرفة الأحكام والحلال والحرام لا علاقة له بالتمييز ما بين الإلهام والوساس، لأن الإلهام والوساس قد يكونا في أمور العقيدة ليس الشريعة، وقد يكونا في أمور خارجة عن مسائل الشريعة المنصوص عليها، وقد يكونا في أمر نفساني قلبي في العلاقة بالله والعالَم، وغير ذلك من أمور خارجة عن الفقه العملي، بل قد يأتي الوسواس بالأمر بالاستكثار من القيام بأمر واجب في الشريعة وحلال قطعاً مثل الوضوء أو أكل المباح. وعلى أية حال القشيري يشير إلى التفريق بينهما على مستوى الأصل لا الفرق والموضوع، أي ليس المهم هنا التفريق بين موضوع الإلهام والوسواس، بل مصدر الإلهام والوساس هل هو المَلَك أم الشيطان، فلذلك أثر في القلب يعرفه أهل الحس الباطن الطاهر، ويُحرَمه آكل الحرام.

كذلك بعد هذه الجملة كتب القشيري عن الدقاق قوله {مَن كان قوته معلوماً لم يفرق بين الإلهام والوساس}، فعلّق الشيخان في الحاشية على كلمة {معلوماً} فقالا "أي معينا من جهة ما إذا اطمأن له واعتمد عليه."، أقول: المعلوم في التراث هو المرتب الشهري الذي كان يأخذه الشيوخ من الحكومة أو من المدرسة والأوقاف التابعة لها والتي يلتحقون بها طلباً لكسب معاشهم عبرها، فيحتمل راتب الحكومة أو راتب المدرسة. وقد كان أهل الله يرفضون أخذ مرتبات الحكومة لأنهم يرونها حراماً، وكذلك بعضهم يرفض راتب المدرسة لأنه أكل بالدين وهو أكل كان بعضهم يفضّل الأكل بالرقص على الأكل به. لذلك جعله القشيري هنا مثالاً مباشراً على الأكل {من الحرام} فبدأ بذكر مبدأ أكل الحرام ثم ضرب مثالاً وهو أكل المعلوم. الآن، الحاشية جعلت الأمر مبهماً وعاطفياً، وجعلت المعلوم هو المرتب {من جهة ما} فلم تحدد الجهة وهذا عدم علم بالتراث ومصطلح المعلوم وعلاقة المشايخ من أهل الله به. ثم لأن هذا التعريف لا يكفي زادوا قيد {إذا اطمأن له واعتمد عليه}، وهذا لا يفيد شيئاً لأن كل صاحب دخل إذا اطمأن للخلق واعتمد عليه بقلبه بدلاً من الله فهو آثم قلبه، وليس هذا من "المعلوم" الذي يتحدّث عنه الدقاق هنا في شيء. "المعلوم" بحد ذاته مثال على أكل الحرام، مثل أكل الربا وأكل الخنزير بغير ضرورة.

تستطيع أن ترى في المثالين أن محققي الرسالة القشيرية هنا قلبا الأمر الوجداني الكشفي وهو أمر غيبي، قلباه إلى دراسة متون فقهية ومعرفة ذهنية بدقائق الأحكام، وهذا تسفيل للمعنى وتغيير له. ثم بالنسبة لرواتب المشايخ من الحكومة والمدرسة (والأزهر له أوقاف وهو مؤسسة حكومية تابعة للدولة المصرية)، صار مجرد الاعتماد القلبي على الراتب أيا كانت

جهته، طبعاً لأن الشيخ عبدالحليم شيخ الأزهر...فهل شيوخ الأزهر يأكلون المعلوم وهم لا يعلمون ! نسأل الله السلامة.

الخلاصة: الحذر من تسخيف العرفان الصوفي من أجل تعميمه أو تبريره. {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين} هذه الآية تاج الصوفي الصادق في هذا الزمان وفي كل زمان.

...

مشروع كتاب: لسان القرءان. فكرته: معجم لجميع ألفاظ وحروف معاني القرءان حسب استعمال القرءآن لها حصراً. طريقته: يتم توزيع المواد القرءانية على علماء التفسير والعربية، ويتم إعطاء كل مادة لأربعة علماء من مشارق الأرض ومغاربها (يتم تقسيم الأرض من مركز مكّة إلى أربعة أقاليم ويتم اختيار عالِم من كل جهة من هذه الأقاليم)، ثم يتم جمع ما يكتبونه في تحليلهم وتأويلهم للمادّة، ثم يتم النظر من قبلة فرقة أخرى من العلماء في ما كتبه أولئك ويتم تقسيم المكتوبات إلى المعاني المتفق عليها والمختلف فيها التي تفرّد بها بعضهم، ثم تُكتَب كل مادّة على قسمين مُجمَع عليه ومُتفَرَّد به، وعلى هذا النمط يُكتَب المعجم القرءاني كله، ويكون اسمه معجم لسان القرءان.

...

{ادفع بالتي هي أحسن} يعني بالجدال، "جادلهم بالتي هي أحسن". فالجدال أحسن من القتال، دائماً إن كان يمكن حسم الأمر به. ثم الجدال منه سيء وهو الجدال بالباطل والحجج الداحضة "جادلوا بالباطل" "يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير"، ومنه الحسن وهو الجدال بالحق وبالعلم والهدى والكتاب المنير والحجج الدامغة، ومنه الأحسن وهو الجدال بالحق لكن مع القول اللين. فمن دفع بالجدال فقد دفع بالتي هي أحسن من القتال، ومن دفع بالجدال بالحق فقد دفع بالتي هي أحسن من الجدال بالباطل، ومن دفع بالجدال بالحق مع اللين فقد دفع بالتي هي أحسن من الجدال بالحق مع الشدّة والغلظة. السلام خير من الحرب، فالجدال أحسن من القتال.

...

{اسجدوا لله واعبدوا} السجود للمَلِك وذلك بتسليم الإرادة للخير، والعبادة للحق وذلك بقبول العقل للصدق ولذلك أطلق {اعبدوا} ولم يقل "اعبدوه" أو "اعبدوا الله" لأن كل قبول للحق بالعقل هو عبادة صالحة وهي عبادة لله حتى وإن لم يُسمّى الله لفظاً لأن "الله هو الحق المبين". ممن خالف ذلك إبليس، حيث لم يسجد أي لم يُسلّم بإرادته لأمر الله بالسجود لآدم، ولم يعبد الله لأنه بنى عصيانه على فكرة خاطئة وحجّة داحضة.

...

{إذا قُرئ عليهم القرءان لا يسجدون} القرءان له معنى وله مدلول. معناه أي معناه الذي تفهمه في نفسك، ومدلوله هو الله. بعض الناس لا يفهم معنى القرءان ولا يتصوّر مفهومه الصحيح، فهذا لم يعقله. لكن بعض الناس عقل مفاهيم القرءان إلا أنه لم يرجع لله تعالى الحي القيوم فاقتصر على التعامل مع القرءان كنصّ لغوي ومفاهيم ذهنية داخل نفسه فقط فلم يتصل بالله تعالى الحي الموجود بذاته. الذي لم يعقله لم يسجد لأنه لم يأتمر بالأمر بالتدبر في القرءان، والذي لم يرجع لربّه لم يسجد لأنه لم يتصل بربّه الحي.

...

للمعنى نزول وعروج في سُلَّم الوجود. والقرءان سُلَّم كامل من أعلى عليين إلى أسفل سافلين.

مثلاً، قوله تعالى في موسى وعصاه {فألقاها فإذا حيّة تسعى}. هذه الآية مجرّدة في حقيقتها، يمكن أن تعرج وتنزل بها في سلّم الوجود. فمن العروج بها أن تقرأها هكذا: {فألقاها} أي الله تعالى ألقى كلمته "كن" التي هي عصا إرادته، {فإذا هي حيّة} الحية هي العوالم كلها فإنها حية تعلم صلاتها وتسبيحها، {تسعى} لها مقصد محدد وليست عبثية عشوائية. فتدلّ الآية على فعل الله بإرادته وكلمته وتكوينه. فهذا عروج. لكن قد تنزل بها إلى حد جعلها جسمانية بحتة في أسفل سافلين، فتعتبر أن موسى يمثّل رئيس الجماعة، وعصاه هي كلمته قبل أن يُلقيها بالأمر القانوني، وهي حية حين يلقيها ويصدر أمره لمن تحته في هرم السلطة، وتسعى لأنها تتمثّل في الواقع بتنفيذها وتجسيدها في الصور الاجتماعية والطبيعية بحسب مقتضاها وذلك بتنفيذ أفراد الجماعة لها. وهكذا عروجاً ونزولاً.

كل حقيقة عالٍ له مظاهر نازلة، وكل مظهر نازل له معارج عالية.

...

{فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب} الباب العلم ومفتاحه التعقل. وتجسّد هذا المعنى في الناس بأن كان النبي هو السور، وعليّ هو الباب، لذلك قال " أنا مدينة العلم وعليّ بابها" وتجسّد مفتاح التعقّل بالولاية، لأن الولاية تعقّل روحي ورابطة معنوية ينتقل فيها الفتح العلمي بين روح الولي ووليّه بالوراثة كما ينتقل الفتح بين العالِم والمتعلّم بالدراسة. إلا أن الأصل ما بيناه من أن

...

مشروع: دستور المسجد الجديد. فكرته: كتابة نظام لمسجد حر وحي وفعال، بحيث يتم تقسيم أعمال المسجد من صلوات ومجالس ذكر ومناظرات وحلقات تدارس وغير ذلك من تفاصيل، ويتم وضع قواعد بحيث يشارك جميع أعضاء المسجد وزواره ويقولون ما في أنفسهم بلا قيد موضوعي اللهم إلا طريقة تنظيم صدور الكلام حتى يتكلّم الكل ويتفاعل الكل مع الكل.

المساجد في زماننا هذا بشكل عام إما مقابر وإما جثث وإما ضعيفة جداً، ولم أدخل مسجد أو أرى مسجداً فيه ما ينبغي أن يكون في المسجد على التمام بل ولا شبه التمام، إما مساجد خاوية وإما مساجد هي أشبه ما تكون ببيوت الطاغية حيث يطغى فرد واحد فيها على البقية ولا يتكلّم غيره والباقي كأنهم أنعام لا يسمعون ولا يعقلون ممن يذكّر بقوله تعالى "إن شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون" وإما أن تكون مجرد منابر لعقائد معينة وسياسات خاصة لا تحتمل حتى قراءة القرءان على وجهه فيها. أريد إحياء المساجد والبدء ببناء مسجد لله على نظام جديد بإذن الله. جاءتني بعض الأفكار العامّة وشيء من التفصيل لكن هذه المقالة هي بذرة العمل وعلى الله قصد السبيل.

...

(مادة ب ط ن في القرءان)

الإحصاء:

أ- ١٣ صيغة للجذر. الباطن، باطنه، بطائنها، بطونهم، البطون، بَطْن، بطون، بطني، بطونه، بطونها، بطنه، بَطَن، بطانة.

ب- ٢٥ كلمة. مع المكرر. يعني عدد الآيات التي فيها كلمة من جذر ب ط ن.

ج- موضوعات الباطن: ٧ مواضيع مجملة، فيها ١٤ موضوعاً تفصيلياً. وهي اسم الله {الباطن}، الآخرة (السور بين المؤمن والمنافق، فُرش أهل الجنّة، بطون أهل النار حين يأكلون)، الأرض (مكّة)، الأم (الأم عموماً، وأم مريم خصوصاً)، الحيوان (الأنعام جنينها ولبنها ومشي الدواب وحوت يونس وعسل النحل)، الحسنة والسيئة (النعمة والإثم والفواحش)، جماعة الذين ءامنوا (بطانتهم).

الدراسة:

أ- العدد ١٣ هو عدد حروف كلمة {فتعالى} وكلمة {الصراط} من "اهدنا الصراط المستقيم"، وكذلك كلمة {عليهم} من "أنعمت عليهم..المغضوب عليهم". وهنا جذر الباطن.

لأن تعالي الله تعالى الذي قسم الوجود إلى ظاهر وهو ما دون الله ومظاهر الموجودات، وباطن وهو الله تعالى المتعالي، لذلك من أسماء الله {الباطن}.

ثم الصراط المستقيم مبني على العلم بالباطن، وهو الذي يميّز المنعم عليهم من المغضوب عليهم ولذلك جاءت آية من آيات الباطن في السور ما بين المؤمنين والمنافقين وكذلك من قبل بين المؤمنين والذين لا يعلمون إلا "ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون"، فظاهر الحياة يشترك فيه المؤمن والكافر والمنافق، وظاهر الدين يشترك فيه المؤمن والمنافق، بالتالي

خاصّية المؤمن هي الباطن تحديداً، باطن الحياة وباطن الدين معاً. بالتالي أحسن تسمية للمؤمنين هي "الباطنية" بهذا الاعتبار، لأن ما سوى ذلك مشترك بينهم وبين الكافرين والمنافقين.

ثم إن العدد ١٣ هو عدد "أولي الأمر منهم"، فإن "أولي الأمر منهم" ثلاثة عشر حرفاً، والذي يميّز المسلم الظاهري من المحقق ليس الانتساب للرسول فإن الكل ينتسب للرسول بالظاهر، لكن الذي يميّزهم هو {أولي الأمر منهم} الذين يعلمون استنباط الأمر والاستنباط يتعلّق باستخراج الباطن كاستنباط الماء من الأرض، فالثلاثة عشر هنا رمز لعلماء الباطن.

ثم العدد ١٣ شكله واحد وثلاثة. وتُقرأ بطريقتين. فإما أن يكون الواحد هو الله المتعالي، والثلاثة هي العوالم الثلاثة الكلّية الروح والنفس والجسم أو الآيات الثلاثة الجامعة وهي آية القرءان وآية الآفاق وآية الأنفس. وإما أن يكون الثلاثة في مقام الآحاد والواحد في مقام العشرات، بالتالي تكون الثلاثة هي أسماء الله الثلاثة "الله الرحمن الرحيم"، والعشرة هي درجات العالمين العشرة التي هي العرش والكرسي وسبع سموات وأرض. العلم بالباطن يجمع هذا كلّه. ولذلك ستجد في مفردات الباطن في القرءان أن فيها ذكر الله والآخرة والدنيا على اختلاف ما فيهما. الظاهر يحصر، والباطن يجمع.

ب- عدد الآيات التي فيها ذكر مفردات الباطن هي ٢٥ آية.

٢٥ هو عدد كلمات سورة الفاتحة بدون عدّ البسملة أي على اعتبار أن البسملة ليست آية منها. وهذا يدلّ على أن العلم بالباطن مفتاح القرءان كله كما أن الفاتحة مفتاحه. أو قل إن شئت أن الصلاة هي معرفة الباطن أو لا صلاة تامّة لمن لم يعلم الباطن.

ثم ٢٥ هي خمسة في خمسة، أي مربّع الخمسة، وهذا يكشف عن الحقيقة الباطنية الكبرى وهي أن الحضرات الخمسة الإلهية "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" قد أظهرت نفسها في أربع عوالم كل عالَم يُجلّي الخمسة كلّها، وهي العزّة والعرش والسماء والأرض، أو حسب حديث النبي "سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزّة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت"، فالملك والملكوت والعزّة والجبروت أربعة والخامس اسم الله. فالخمسة الأسماء حفظت نفسها في تجليها واحتجابها بأربع عوالم كل عالم يجلّي الخمسة. الحضرات الخمس هي {هو الأول والآخر والظاهر والباطن} فالهوية حضرة، والأول حضرة، والآخر حضرة، والظاهر حضرة، والباطن حضرة. لذلك ستجد في كل عالَم من العوالم الأربعة سريان الهوية وبذلك صار له الوجود، وستجد فيه أول وآخر أي تقديم وتأخير "لمن شاء منكم أن يتقدّم أو يتأخر" "علمنا المستقدمين منكم والمستأخرين"، وستجد فيه ظاهر وباطن سواء كان من أمر

النور "أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة أو من أمر الظلمات "ذروا ظاهر الإثم وباطنه" "لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن"، ومنه كان الباطن في الجنّة "متكئين على فرش بطائنها من استبرق"، وفي النار "يُصهر به ما في جلودهم والبطون"، وفي الجماد "بطن مكة" وفي الحيوان "نسقيكم مما في بطونه" وفي الإنسان "أخرجكم من بطون أمهاتكم". فكل عالَم له وجود ومراتب وطبقات، فوجوده من حضرة الهوية، ومراتبه من حضرة الأولية الآخرية، وطبقاته من حضرة الظاهرية الباطنية. فيكون المجموع ٢٥، ٥ أفراد هي الحضرات الخمسة الإلهية، و٢٠ هي العوالم الأربعة المجلية للخمسة الإلهية.

ج-موضوعات الباطن:

تبدأ من البدء وهو اسم الله. فمن أسماء الله {الباطن}. بالتالي الكفر بالباطن أصله يرجع إلى كفر الإنسان باسم الله. فمن زعم أن الأمر كله ظاهر فقد كفر بالله وألحد باسمه.

ثم الآخرة:

الأولى "فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب" وذلك بين المؤمنين والمنافقين، "ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً"، المنافق هنا هو مثل الأعراب الذين أسلموا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم الذي هو النور والقلب باطن، بالتالي هم أهل الإسلام الظاهري فقط، هؤلاء ليس فيهم نور الإيمان وقلوبهم مظلمة والقلب محل العقل والفقه والعقل للأمثال "ما يعقلها إلا العالمون"، فما هو السور إذن؟ هو سور سُوَر القرءان، لذلك المنافق إذا خرج من عند الرسول قال "ماذا قال ءانفا" كما قالوا في الأمثال "ماذا أراد الله بهذا مَثَلا". وقال الله "إذا قرأت القرءان جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً. وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه". بالتالي القرءان هو المعيار الفاصل هنا. لذلك بدأت الآية بكلمة {فضُرب} وهي ذات الكلمة المستعملة في ضرب الأمثال، كما قال مثلاً "ضُرِب مَثَلٌ فاستمعوا له" أو "يضرب الله الأمثال للناس". {بينهم} أي بين المؤمن والمنافق، فالسور يجمع ويفرّق، يجمع من حيث أنه سور للاثنين لكنه يفرّق من حيث أن له ظاهر وباطن فظاهره للمنافقين وباطنه للمؤمنين. {بسور له باب} السور سور القرءان وأمثاله، السور هو القرءان، وباب الدخول إلى باطنه هو العلم باسم الله الباطن فذلك مبدأ الأمر كلّه ومن نور اسم الباطن ينفتح باطن القرءان "وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون" فمفتاح الباب على الحقيقة هو إذن الله، ووسيلة تحصيل إذنه برحمته هو بإعمال الإنسان عقله بشروط التعقّل والتعلّم

القرءانية التي منها التزكية. {باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب} الرحمة بالعقل هي بتعليمه، والعذاب الجهل بالغيب الباطني كما قال الله في الجن "فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"، فالإنس هم علماء الباطن، والجنّ هم أهل الإسلام الظاهري حصراً والنفاق، لذلك سماهم "الجن" من "جن عليه الليل" لأنهم في ظلمة الجهل، بينما أهل الإيمان هم أهل النور ولذلك يوم القيامة يستوّل هؤلاء من المؤمنين النور ولا يجدونه. الجزاء في الآخرة مبني على العمل في الدنيا، فما الذي عمله أهل النفاق وهم من المسلمين حتى يستحقوا أن يكونوا في ظاهر السور الذي مِن قِبَله العذاب؟ لأنهم أخذوا القرءان والدين بظاهره حصراً "لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم".

الثانية فرش أصحاب الجنّة {متكئين على فُرُش بطائنها من إستبرق}، "أتوكأ بها" على العصا، توكأ على العصا لكن اتكأ على الفُرش والاتكاء عند الجلوس والسكون التوكؤ عند الحركة. فقوله {متكئين} يشير إلى الراحة والاستقرار، {على فرش} وسيلة تلك الراحة. فما هي راحة النفس؟ هي الإيمان واليقين وهو الاستقرار. والإيمان واليقين بالعلم بباطن الآيات. فالآيات هي الفُرُش التي تعكس العرش الإلهي في العالَم ومن هنا سمّى العرش مجيداً كريماً عظيماً وسمّى القرءآن بمثل ذلك مجيداً كريماً عظيماً. {بطائنها} فالعبرة في بطائنها، {من إستبرق} مثل "برق البصر" و "رعد وبرق" وهو النور من السماء، كذلك فيه معنى الإعجام لأن الكلمة معرّبة وذلك لأن باطن القرءان أعجمي بالنسبة لعموم الناس كفاراً ومنافقين إسلاميين، وكذلك فيه معنى المادة المريحة الثمينة لأن باطن الآيات كذلك يمدّ النفس بالمعنى اليقيني الإلهي والأبدي.

الثالثة عذابات أهل النار. منها لأنهم يأكلون أموال اليتامى ظلماً ومنها كاتم بينات كتاب الله ومنها الكافر بربّه ومنها الظلم فيأكلون من شجرة الزقوم التي طلعها كأنه رؤوس الشياطين ومنها الضلال والكذب والإثم. هذه المعاني اجتمعت في آيات أهل النار الذين سيأكلون في بطونهم ناراً وستغلي بطونهم بسببها وتُصهَر. لاحظ أن كاتم بينات الكتاب توعده الله بعذاب في بطنه، لماذا؟ لأن بعض أهل الباطن يكتمون ما تعلّموه من باطن الكتاب بخلاً وضنّاً أو اشتراءً للدنيا وإرادة تكوين أتباع خواص يعطونهم ذلك ويستعلون بهم ولذلك قرن الله كتم البينات باشتراء الدنيا وهذا شأن كل الجماعات السرّية الباطنية الملعونة لا أقلّ هذا شأن من كان فعلاً قد علم باطناً حقاً وأما مَن كوّن جماعة سرّية على أساس باطن باطل فهو ضلال فوق ضلال ولعنة فوق لعنة وظلمة فوق ظلمة. باطن القرءان هو أموال يتامى هذه الأمّة، الذي لا أب يعلّمهم وهم عامّة المسلمين الذين استأمن الله أهل العلم كتابه عندهم حتى يعلموه الناس لكنهم لم يفعلوا ذلك بحجج كثيرة داحضة كلها. ومن الناس من كفر بربّه أنه الباطن فانتهى به

الحال إلى عذاب يصيب بطنه هو جزاءً وفاقاً. ومن الناس من تكلم بالظاهر فقط فكان كمثل شجرة الزقوم التي طلعها كأنه رؤوس الشياطين. والجهلة الباطن ينتهي بهم الحال إلى الضلال عن معرفة الآيات، والكذب على الله بالخطأ في تفسيرها. وأما الإثم "فمن يكتمها فإنه آثم قلبه" وهذا شأن الذين يكتمون علم الباطن عن الناس. الحاصل: عذاب عظيم أمام مَن كفر بالباطن أو آمن به ولم يطلبه أو طلبه من غير بابه أو عرفه وكتمه عن الناس عامّة أو عرفه وبيّنه لكن طلب عليه أجراً أو شكوراً أو تعظيماً خاصاً أو دنيا أو سياسةً. والعياذ بالله من ذلك كلّه.

ثم الأرض (مكّة): {ببطن مكة}، فمكّة لها ظهر وبطن. وهي بلد بيت الله الحرام. وهذا يكشف من وجه عن أن أرض بيت الله لابد أن تعكس ذات الله من حيث أسمائه، فكما أن الله هو الظاهر والباطن فكذلك بيته في الأرض لابد أن يكون له ظهر وبطن، كما أن كتابه له ظهر وبطن. جعل الأرض صورة السماء والغيب، وهندسة المباني على هذا الأساس أصله القرءاني هو هذا.

ثم الأم (الأم عموماً، وأم مريم خصوصاً).

الأم عموماً كما قال "يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث"، ففي البطن يتكوّن الجسم كذلك في تعلّم الباطن تتكوّن النفس، وبالنسبة للنفس الأمّ هي المعلّم أو بيوت النور الإلهي حيث يدخلها طالب العلم وتتكوّن فيها نفسه مرحلة بعد مرحلة في العلم حتى يعقل ويستقل بالفهم والأخذ عن الله وآياته مباشرة كما أن الجنين حين يولد ويستقل ينضج فيأكل باستقلال عن أمّه بل لعله يرعى أمّه وهذا مثل المتعلّم الذي يُعلّم شيخه ما فُتح عليه به أو يرجع إلى بيت النور والمدرسة لتعليم الناس كما تعلّم هو منها.

الأم خصوصاً هي امرأت عمران التي قالت لربها "نذرت لك ما في بطني محررا" وكان في بطنها مريم، وفي بطن مريم عيسى. هذا شأن القرءآن. امرأت عمران مَثل على عربية القرءان أي اللغة وهي الحجاب الأول، وفي باطن هذا الحجاب مريم الأمثال، وفي باطن الأمثال عيسى روح الله وهو الحق. مريم باطن امرأت عمران، وعيسى باطن مريم. فهذا يكشف عن تعدد درجات الباطن عمقاً. {إنا أنزلناه قرءاناً عربياً لعلكم تعقلون}، فالعربية معبر القرءان والقرءان معبر الهو من "أنزلناه" وهو الروح الأمري الرباني.

ثم الحيوان (الأنعام جنينها ولبنها ومشي الدواب وحوت يونس وعسل النحل).

أما الأنعام فقال "إن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم" فمرّة قال بالمؤنث "بطونها" ومرّة قال بالمذكّر "بطونه". فأثبت السقاية من إناث الأنعام وذكورها، ثم ذكر العبرة وهي مثل "كان في قصصهم عبرة" و "إن كنتم للرؤيا تعبرون" وهي العبور من الظاهر إلى الباطن ومن التجسيد إلى التجريد. فأثبتت الآية هنا سقاية اللبن الخالص، من بطن الأنعام، لا من الظهر. وكذلك دل على وجود الفرث والدم حين يخرج اللبن من الأنعام، لكن من كان يسقيه الله الباطن فإنه سيخلّص له اللبن. اللبن هو العلم. والأنعام هم العوام أهل الظاهر. وذكور هؤلاء وإناثهم يمكن الاستقاء من كلامهم وأفعالهم لأنهم يقومون بالظاهر وإن جهلوا باطنه لأنهم لا يسمعون الوحي من الله ولا يعقلون أمثاله، كما قال في السور فأثبت للمنافقين ظاهر السور. ومن هنا ثبتت العبرة والسقاية عبر العوام من الإسلاميين. ولذلك استحقوا الرعاية "كلوا وارعوا أنعامكم"، لأنهم ينفعون أهل الباطن وإن ظلموا أنفسهم بالاقتصار على الظاهر. فهذا يشبه آية "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شر لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولّى كبره منهم له عذاب عظيم"، بالنسبة للمؤمنين والمؤمنات حتى الإفك خير لهم، وإن كان شرّاً على أهله والذي تولّى كبره. "ويل لكل أفّاك أثيم. يسمع آيات الله تُتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً"، وشيوخ العوام حظ من هذه الآيات والذي تولّى كبره من هذه العصبة الأفّاكة هم الذين وضعوا النظريات والقواعد لجعل الناس يعتقدون حصراً بالظاهر وينكرون الباطن. هذا بالنسبة للبن الأنعام. ووردت آية تذكر "ما في بطون هذه الأنعام" حكاية لقول المشركين، فهنا ما في بطون الأنعام هو جنينها وولدها. بالتالي الأنعام في بطنهم شيئان، اللبن والولد. ولد الأنعام مَثل على ولد العامّي الظاهري باعتبار، كما قال نوح "ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا" لأنهم يهوّدون وينصّرون ويمجّسون أولادهم ويلوثونهم بعقائدهم الظاهرية الحصرية الفاسدة، لذلك لرؤوس الشرك اهتمام بأولاد الأنعام وكيفية التصرف فيهم. باعتبار آخر، ولد الأنعام هو قوله الخاص به الذي يمثّل نفسه لأن الكلمة من النفس ولد لها إذ فيها من روحها وحالها وخصائصها، فاللبن الحقيقة الدينية الكامنة عند أهل الظاهر، لكن الولد رأي وتعبيرات أهل الظاهر من حيث أنفسهم وحتى في هذه منفعة من حيث أن لكل ظاهر في الوجود باطن فيمكن الانتفاع بها بوجه ما.

أما مشي الدواب فقال {منهم من يمشي على بطنه}، خلافاً للذي يمشي على رجلين أو أربع. "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه"، فالمشي وسيلة الانتقال من مكان إلى مكان ولتحصيل الرزق. الانتقال الترقي في درجات العلم وكل مكان درجة علمية، والرزق هو العلم. والدواب اسم يقابل الملائكة، فالملائكة للسماء والدواب للأرض، فالبشر من الدواب بهذا المعنى. لذلك ينقسمون إلى مَن يمشي {على بطنه}، ومنهم من يمشي على رجلين اثنين أو على أربع

وهذه الفئات هي التي ذكرتها الآية. فالبطن هو اسم الله الباطن وهذا الموحّد الخالص الذي باسم الله الباطن يمشي في الوجود ويترقّى في العلم. ومنهم من يمشي على رجلين، الملك والملكوت رجلين، العزّة والجبروت رجلين، فمنهم من يمشي على الملك والملكوت، أو منهم من يمشي على العزّة والجبروت، بحسب نظره. ومنهم من يمشي على أربع، وهو الجامع للملك والملكوت والعزة والجبروت في اعتباره. بالتالي، {يمشي على بطنه} هي الأعلى وهي المشي العقلي بعين واحدة جامعة.

أما حوت يونس، "للبث في بطنه إلى يوم يبعثون"، فيونس هو الحقيقة النورانية الكامنة في حوت الآيات والكلمات الإلهية. والذي يكتم هذه الحقيقة فإنه سيكون في ظلمة وضيق ولن يُفتَح له الرزق الواسع، لذلك لابد من أن يكون من "المسبحين"، ومن معاني ذلك إطلاق الحقيقة لتصل للناس كلهم. والذي يكتمها فإنه سيندم على ذلك يوم البعث وسيلعنه الله واللاعنون حينها. فكل حقيقة ستنكشف يوم البعث، فاكشفها الآن ولا تكتم ولا تحجب نفسك عن الخلق يا مَن علّمه الله هذه البينات.

أما عسل النحل، "يخرج من بطونها شراب"، فهم أهل العقل الذين يقرأون مختلف الآيات ويتكوّن في بطن قلبهم معنى من مجموع تلك الآيات، فإن في الجمع بين الآيات من المعاني ما لا يظهر لمن يأخذ بآية واحدة فقط. وهؤلاء يعطون كلاماً وأفعالاً وشعائر لها مختلفة الظاهر وإن كان فيها {شفاء} للروح المتشوقة للعودة إلى أصلها العلوي، فتجد الروح مظاهر رمزية في ما تقوم به وتقوله فتشعر بالتناغم بين الغيب والشهادة.

ثم الحسنة والسيئة (النعمة والإثم والفواحش)

فأثبت الله الظاهر والباطن فيهم فقال في النعمة {أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة} ومن نعم الله القرءان "ما أنت بنعمت ربّك بمجنون" والدين "أتممت عليكم نعمتي"، بالتالي للقرءان والدين ظاهر وباطن. كذلك في السيئة، {ذروا ظاهر الإثم وباطنه} و {لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن} وباعتبار، الإثم للأقوال "من يكتمها فإنه آثم" والفواحش للأفعال "تشيع الفاحشة"، وباعتبار الإثم ما تعلّق بحق الله والفاحشة بحق الإنسان، واعتبارات أخرى تدل على أن الأمر كله حسنه وسيئه له ظاهر وباطن.

ثم جماعة الذين ءامنوا (بطانتهم)

حيث قال "لا تتخذوا بطانة من دونكم"، فدل على أن للذين ءامنوا بطانة مما يعني أن لهم جماعة ونظاماً بحيث تكون لهم بطانة مخصوصة وهم أفراد يختصونهم بصحبة غير عامّة

الناس وعمومهم، فلو كان المؤمن منفرداً لا خاصّة له أو منع من تكوين جماعة خاصة لنهى عن اتخاذ البطانة أصلاً وليس عن اتخاذ بطانة {من دونكم} فدلّت الآية على أنه على المؤمن اتخاذ بطانة ممن هو مثله في الإيمان. فبالنسبة لما نحن فيه، بطانة أهل الباطن لابد أن تكون من الباطنية.

هذه أبعاد لجذر كلمة (ب ط ن) في القرءان. والحمد لله رب العالمين.

...

{يعظكم الله أن تعودوا لمثله}: الدعوة إلى سبيل الله بثلاث طرق، الحكمة والموعظة والمجادلة. الموعظة لمن وقع في الشيء فيُنهى عن العودة لمثله، أعلى منها الحكمة وهي التي تنهى عن الوقوع في الشيء ابتداءً، وأدنى منهما المجادلة وهي لمن لا يعترف بسيئة الشيء أصلاً. فالحكمة تعريف السيئة والحسنة عقلاً والعمل على أساس العقل، والموعظة العمل بعد التجربة، والمجادلة لمنكر سوء السيئة وحسن الحسنة. ترتيب من الأعلى إلى الأدنى. هذا هو العقل القرءاني.

...

{وقل} يا صاحب مجلس القرءان.

{رب أعوذ بك من همزات الشياطين} ألفاظ الوهابية وأنفاسهم أن تدور في نفسي بسبب سابق عيشي معهم وسماعي ألفاظهم ومعاشرتهم.

{وأعوذ بك ربّ أن يحضرون} أن يحضر وهابي مجلسي فيعكّره وينجّسه بحاله وقاله وفعله.

{حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون} يندم منافقو هذه الأمّة ندماً لا مثيل له بين الأمم، لأنهم بلغوا الكوثر فلم يخرجوا منه إلا بالكفر.

...

عجبتُ ممن ينكر وجود عالَم ما بين الدنيا والآخرة بحجّة اتباع القرءان وهو يقرأ في القرءان {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون. لعلّي أعمل صالحاً فيما تركتُ كلّا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون.} فهذه الآية تدلّ على وجود حياة للنفس بعد الموت، وهي قبل يوم البعث وبعد الدنيا، وصاحبها له عقله وقوله وذاكرته، ويرى فيها عمله وقيمته وعاقبته، ويشهد فيها حقيقة ربّه ويدعوه ويعلم أن الأمر بيده وحده.

{فإذا نُفخ في الصور} أي بعد ذلك العالَم البرزخي، لأن {فإذا} تدلّ على أمر يحدث بعد شيء حدث قبله. {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} فهو يوم جديد.

وقول الله في الآية {من ورائهم برزخ} يدلّ على وجود هذا العالَم الوسط ما بين الدنيا والآخرة، فهذا معنى البرزخ "مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان". فالدنيا بحر، والآخرة بحر، وبينهما برزخ القبر "الله يبعث مَن في القبور" فيصحّ تسمية هذا العالَم الوسط بالقبر لهذه الآية، وإن لم يكن العالَم تحديداً في القبر المادّي الأرضي بل هو مستوى وجودي آخر.

...

{ومَن يدعُ مع الله إلهاً ءاخر لا برهان له به} في هذه العبارة ما لا يقل عن سبعة شروط لابد من تحققها حتى يكون الإنسان من أصحاب وعيد {إنه لا يُفلح الكافرون} أي حتى يكون كافراً حقاً تنطبق عليه الآية.

{مَن} العاقل. أي لابد أن يكون عاقلاً، والعاقل مَن كان عقله له أي مستقلّ حرّ في عقله غير مقهور ولا مُسَيطَر عليه جبراً أو إكراهاً بسبب أي إنسان، مما يعني أن المغلوب على أمره والمستضعف والذين لا يعرفون وجود عالَم أو تمت تنشئتهم بقيود اجتماعية نفسانية شديدة بحيث صاروا لا يقدرون واقعياً على تصوّر أفكار مخالفة للعقيدة التي فُرِضَت عليهم، فصاروا لا يفكّرون إلا في إطار تلك العقيدة المفروضة اجتماعياً وأسرياً، فهؤلاء لا عقل لهم في الحقيقة وبحكم الرحمة، ومطالبة مثلهم بالعمل بناء على العقل المستقل يشبه مطالبة امرأة تتعرّض للاغتصاب على يد عصابة قاهرة من يوم ولدت إلى أن بلغت ونضجت بأن تفكّر بمنطق مخالف لما تربّت عليه ونشأت على اعتياده واعتقاد أن الحياة هي هكذا. من أجل تحقيق شرط العقل هذا يجب على الأحرار في كل مكان رفع الطغيان في كل مكان.

{يدعُ} الدعاء وهو عمل مخصوص، بالتالي مَن لم يدعُ ولو اعتقد في ذهنه اعتقاداً سلبياً فغير داخل في هذه الآية.

{مع الله} شرطان. الأول {مع} أي من اعتقد أن الألوهية جنس له أنواع تحته، بعضها هو الله وبعضها غير الله من الأشخاص والله مجرّد شخص واحد تحت جنس الألوهية وإن كان أعظم الأشخاص، فاعتقد وجود شيء {مع} الله، بالتالي يخرج من هنا مَن لم يعتقد بجنسية الألوهية. الثاني {الله} أي الاسم الجامع للكمال الإلهي، فمن اعتقد أن مَن يدعوه موجود {مع} الله أي باستقلال عن الله من حيث أن الله شخص وهذا المدعو شخص آخر مستقل عن الله ذاتياً وجوهرياً ووجودياً فهو واقع هنا، لكن يخرج مَن لم يعتقد بذلك واعتبر أن مَن يدعوه هو الله ذاته في صورة أخرى مثلاً أو الله من حيث أحد تجلياته أو الله من حيث تجسّد من تجسّداته أو ما أشبه من اعتبارات واعتقادات تجعل الله هو الكلّ والمدعو بعض من هذا الكل

أيا كان معنى التبعيض هنا ومدى تجرّده وتجسّده، فمن اعتقد بذلك لم ينطبق عليه هذا الشرط.

{إلهاً} فلابد أن يكون المدعو في اعتقاده إلهاً، فإن اعتقده غير إله ودعاه باعتباره غير إله بل بأي اعتبار آخر دون الألوهية فليس من أهل هذا الشرط وإن كان عاقلاً يدعو مع الله شيئاً إلا أنه لم يعتقد أن هذا الشيء {إلهاً} بالتحديد. كأن يعتقد بأنه مخلوق لله لكن أعطاه الله كنوزاً وخزائن وقدرات فهو يدعوه باعتبار عبد مُكرَم من قِبَل الله، ومن هذا القبيل دعاء الناس بعضهم بعضاً كبشر يملكون بتمليك الله قدرات معينة وأموال في الأرض كقوله تعالى للناس " ارزقوهم" و "أنفقوا" فهذا يدلّ على أن الرزق حاصل عبر إنسان وإن كان الله في الحقيقة والأصالة هو "الرزاق"، وهكذا في بقية صفات الخلق والرزق والإماتة والإحياء وفروعها الكثيرة في العوالم المختلفة. فمن الجهل العظيم الاعتقاد بأنه يجوز دعاء إنسان لإنسان آخر في الأرض ليعطيه أمراً أرضياً مادياً كالمال مثلاً أو المساعدة لحمل شيء مادي وهو ما يقوم به جميع الناس في كل مكان عموماً سواء من الموحدين أو المشركين و ما بينهما، ثم اعتقاد أن دعاء إنسان لإنسان آخر في السماء أو في الغيب أو لكائن آخر غير الإنسان من كائنات السماء والغيب والعوالم الأخرى العرشية فما دونها أن هذا شرك وكفر وتأليه لذلك المخلوق، فليس دعاء مَن في الأرض بشيء غير دعاء مَن في السماء طالما أنه لا يعتبر المدعو {إلهاً}. إلا أن الملاحدة واقعياً ممن يحسبون أنهم من المؤمنين والموحدين لأنهم ينكرون وجود عوالم أخرى وأبعاد أخرى للإنسان والوجود، يعتبرون أن ما سوى العالَم المادي الأرضي الاجتماعي فهو الله لا غير، وهذا كفر بالقرءان وجهل بالوجود وإنكار للعيان عند أهل القلوب. فالملائكة ليسوا الهة وليسوا في الأرض ككائنات طبيعية كالدواب والطير. فلا يوجد ما يجعل دعاء الإنسان لكلبه لينقذه أو ليصيد له ويأتيه بطعام من عالَم الأرض ومستوى الطبيعة، غير دعاء إنسان لكائن آخر من عالَم السماء ومستوى ما وراء الطبيعة. طالما أن المدعو ليس {إلهاً} فلا علاقة لإنذارات القرءان هذه بعمله. فالآية لم تقل "ومن يدعُ مع الله آخرَ" أو "شيئاً آخر"، ولكن قالت {ومَن يدعُ مع الله إلهاً} فقيّدت المدعو بوصف الألوهية، فإن لم يتصف بالألوهية في عين الداعي وقلبه فليس الداعي من أهل هذه الآية.

{ءاخر} وهذا القيد أعجب ويُظهر مدى رحمة الله بعباده، ومدى دقّة القرءان في تعبيره، ومدى عمق أهل العرفان كابن عربي في بيانهم. دقق وتأمل. لو كانت الآية هكذا "ومن يدع مع الله إلهاً لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون"، فما الذي سيتغيّر عندك في فهمها؟ إن غيّرت نصّ الآية ولم يتغيّر فهمك لها قبل التغيير وبعده فأنت لم تفهم الآية بعد أو لم تفهم الفرق بين الأصل الثابت والنص المخترع الذي افترضته حتى تقارنه بنصّ الآية لتنظر

في الفروق بينهما على سبيل المقارنة فيسهل عليك التمييز بإذن الله وإدراك الآية على وجهها. لو قالت الآية ولو كانت على غير صورتها الواقعية وقالت "من يدع مع الله إلهاً" وسكتت ولم تضع إضافة قيد "ءاخر"، لما تغيّر عند عموم القراء الغافلين معناها، لأنهم سيفهمون بكل بساطة أن "مع الله إلها" تدلّ على أن هذا الإله هو إله آخر غير الله بالبداهة، لأن الله هو الإله الوحيد فمن دعا "مع الله إلها" فقد أثبت الله بدليل "مع الله" ثم أثبت له معية أي أثبت وجود شيء هو معه سبحانه ثم وصفه بأنه إله "إلهاً"، فانتهى الأمر، سيقول الغافلون المتسرعون بأن هذا شرك حتماً واعتقاد تعدد الآلهة بداهةً. بداهتهم تدل على غفلتهم لا على فهمهم كتاب ربهم. تأمل الآن النصّ على وجهه. {من يدع مع الله إلهاً ءاخر}، يعني حتى لو اعتقد وجود إله مع الله، لكن لابد أن يعتقد بأن هذا الإله إله {ءاخر}، أي ولو اعتقد بتعدد الآلهة بحيث اعتقد بالله ومعه إله، هذه الآية تضع وصفاً إضافياً وهو {ءاخر}، فلو لم يعتقد بأن هذا الإله الذي مع الله هو إله {ءاخر} فليس من أهل الآية. فإن قلت: وكيف يعتقد بإله مع الله ولا يكون هذا الإله إلهاً آخر بداهةً؟ نقول: قد يعتقد أن الألوهية وصف ذاتي لله ووصف عرضي للآلهة الأخرى اكتسبوه من الله ذاته، أي لم يعتقدوا وجود صفة الألوهية كجنس أعلى مستقل عن الله وعن الآلهة الأخرى فيجعل الله شخص بين أشخاص على نمط "ثالث ثلاثة"، بل قد يعتقد أن الألوهية تفيض من ذات الله وهو مجمع الألوهية ومن بحره تفيض على آلهة معه إلا أن من معه لا يتصفوا بالافتراق الذاتي عنه بل هم دونه من حيث أن الله مفيض الألوهية عليهم أو هم به آلهة لا بغيره. هذا لا يعني صحة الاعتقاد، لكن يعني أن الله تعالى لأنه قضى بعدم المغفرة للمشرك به، وهذا تقييد شديد للرحمة الإلهية، فإنه وسّع رحمته بأكبر قدر حتى لم يُدخل في المشرك إلا مَن استوفى شروطاً كثيرة وترك له أدنى مجال ونافذة لإخراجه من الشرك الذي لا مغفرة فيه. ومن هنا مثلاً قول ابن عربي في تفسير عبادة المشركين لآلهتهم كقوم نوح أو السامري، حين قال بأنه لم يُعبَد غير الله في كل معبود، فتفسير كلام الشيخ بناء على هذه الآية يكون بفهم أن هؤلاء وإن اعتقدوا بوجود إله لكن هذا الإله ليس {ءاخر} لله تعالى، بل هو الله وحده فيهم في الحقيقة، وإن كان لكلام الشيخ تفسير آخر لكن أشرت لهذا في هذا السياق للتنبيه على أن أهل الله أحسن من قرأ كتاب الله ليس آية آية بل حرفاً حرفاً بل قرأوا ما لم يُكتَب ويُنطَق لأن ما لم يقله الله هو بحد ذاته دليل على معنى ما من حيث أنه لم يقله فلم يقله لسبب وهذا السبب علم نافع ومعرفته من العلم.

{لا برهان له به} لم يقل "لا برهان به"، لكن قال {لا برهان له به}، فأضاف قيد {له} ليدلّ على أن البرهان ليس بالضرورة أن يكون برهاناً في نفس الأمر. يعني، البرهان ينقسم إلى برهان في نفس الأمر وبرهان عند المفكّر. مثلاً، قد تجد شخصاً يغضب على صاحبه،

فتسأله "لماذا غضبت عليه؟" فيقول "لأنه سرق مالي"، فتقول له "وما برهانك أنه سرق مالك؟" فيقول "رأيته يفتح محفظتي بغير إذني"، فتذهب إلى صاحبه وتحقق معه فإذا به يقول لك " نعم فتحت محفظته لكن وضعت له فيها مالاً لأني عرفت من أخيه أنه بحاجة إلى مال فلم أرغبت بتجفيف ماء وجهه بالسؤال ودليل كلامي أنك ستجد في محفظته نقوداً برقم كذا وكذا" وفعلاً تذهب وتجد الأمر كذلك ويعرف صاحب المحفظة ذلك فيندم. في هذه الحالة البسيطة لتقريب الفكرة، مدعي السرقة لم يقل قوله عن عدم بل قاله عن برهان وإن كان برهانه خطأ في الواقع ولو دققت فيه لا ينتج مطلوبه ومدعاه، لكنه على أية حال يختلف في أعيننا جميعاً عن الذي يدعي الادعاءات بدون أدنى برهان بل كذباً واضحاً وبسوء نية. ومن هنا حتى القوانين الإنسانية العادلة العاقلة تفرّق بين إنسان كذب في نقده لرجال الحكومة بناء على سوء نية وبين شخص قال نقداً لكنه مبني ولو على شبهة برهان عنده وإن كان عند من هو أعقل منه خطأ وإن كان مدخولاً وهو نفسه لا يستطيع المدافعة عنه إن حوسب عليه ونوقش فيه. ولا أظن أن الإنسان أعقل وأعدل وأرحم من رب الإنسان حتى يحاسب إنساناً اعتقد شيئاً بناء على برهان عنده وبحسن نية وإرادة إصابة الحق فأخطأ في نفس الأمر والواقع الحقيقة، وبين إنسان ليست لديه حتى شبهة برهان عنده. والآية تدل على هذا المعنى تماماً بل هي التي دلّتني عليه أول الأمر، وقال بهذا من قبل مثل ابن عربي وقد نقلنا قوله في كتاب سابق. فالآن دقق في الآية وانظر الفرق بين وجود {له} وعدم وجودها. لو قالت الآية "إلها ءاخر لا برهان به" لاختلفت عن {إلهاً ءاخر لا برهان له به}، فما الفرق لأنه لابد من فرق؟ انعدام البرهان على وجود إله آخر مع الله، أي انعدام برهان حقيقي تام، هو أمر معروف عند العلماء العقلاء وأهل الكشف والذوق الوجودي. فما فائدة {له}؟ إن قلت: هي لمجرّد بيان أنه لا برهان له به بمعنى أنها تعريف للمشركين وتنبيه لهم بأنه لا برهان لهم على ما هم عليه. قلنا: هذا وجه، لكن يحتمل وجهاً آخراً مثله في القوة ويزيد عليه في الرحمة وسعتها، وهو أن {له} تعني بالنسبة له، فمن بنى شركه على غير برهان بل على تقليد بحت فقد خاطر بنفسه. لكن قد يقول المشرك المقلّد: برهاني هو اعتقاد مشايخي والأكابر من قومي الذي أرى عقلهم وصدقهم بحسب معاشرتي لهم كما أنكم معشر المؤمنين تثقون بكلام رسلكم وأنبيائكم وعلمائكم وتسألون أهل الذكر عندكم إن كنتم لا تعلمون وتظنون بالمؤمنين والمؤمنات خيراً كما في قصة الإفك وتقضون على رامي المحصنات بغير أربعة شهداء بأنه يقول إفكاً مبيناً وهو عند ربكم من الكاذبين بالرغم من أنه قد يكون في نفس الأمر قد زنى بل شهد عليه ثلاثة شهداء من الصادقين المقربين عند الله ومع ذلك لأنه خالف هذا الإجراء القانوني الشكلي في إثبات الزنى تعتقدن جواز قول "هذا إفك مبين" فتنفون الواقع وما حدث في نفس الأمر لمجرد مخالفته الإجراء الشكلي والذي هو

أربعة شهداء من البشر الذين يخطئون ويصيبون، فكذلك نحن شهد عندنا ليس أربعة بل أربعة آلاف بل أكثر وعلى مر القرون بعقيدة الشرك وهذا بالنسبة لنا برهان كاف لاعتقاد صدق ذلك، وهؤلاء قد وجدناهم من الكهنة الزاهدين والمتجردين للدين وخدمة الآلهة فزاد فينا الثقة بعقلهم وما شهدته قلوبهم فوثقنا بهم لذلك فكان ذلك عندنا برهاناً كافياً وقد شغلتنا الحياة والمعيشة وتربّينا على تقسيم الأعمال في المجتمع فأخذنا ما قالوه تقليداً كما تأخذون أنتم كلام أطبائكم ومهندسيكم وبقية أصحاب المهن فيكم تقليداً لأنكم لا تفقهون في علومهم شيئاً فكذلك الدين عندنا أخذناه تقليداً من مشايخنا لأنهم متخصصين فيه متفرغين له، فكما أن كلام الطبيب عندكم برهان معتبر وإن أخطأ في نفس الأمر وأدى إلى موتكم فأنتم معذورون لأنكم وثقتم بالمختصّ ومن هو أهل لعلم الطب فكذلك نحن كلام شيوخ الشرك عندنا برهان معتبر وإن تبيّن أنه أخطأ في المستقبل عند انكشاف الحق كما تقولون للكل فنحن معذورون لأننا وثقنا بالمختص ومن هو أهل لعلم الدين الذي هو طب الروح. أقول: هذا ومثله يُعتَبَر {برهان له} تحت هذه الآية.

فإن قلت: بعد هذه الشروط كلها والقيود جميعاً يبدو أنه لا يكاد يدخل تحت الشرك الذي لا يُغتَفَر إلا أقلّ القليل هذا إن دخل تحته أحد. أقول: هنيئاً لك الآن علمت واحد من أسباب ضلال الذين يحكمون بكل سهولة بشرك الناس وهلاكهم وأنه لا عقل ولا علم ولا ذوق ولا رحمة لهم ولا يفهمون من القرءان حقيقةً عميقة دقيقة، بل لا يجاوز حناجرهم والمتعمّق فيهم لا يجاوز القرءان ترقوته. ومن هنا تفهم لماذا جاءت الجملة التالية في الآية {فإنما حسابه عند ربّه}. نعم، لأن تحقق كل الشروط السابقة أمر خفي دقيق لا يستطيع الحكم به إلا الله تعالى، لذلك حصر الحساب به فقال {فإنما}، وهو حصر تام، {حسابه} حتى يحاسبه على ما سبق من شروط وموازين بيّنتها الآية، {عند ربّه} ليس عند أحد من الخلق ولا يستطيع أصلاً أحد من الخلق أن يحاسب في هذه الأمور الدقيقة للشرك المُهلِك.

ثم ختم بعبارة {إنه لا يُفلِح الكافرون} بالتالي الحكم الجازم بالكفر على أساس الشرك المُهلِك حتماً أمر لا يقضي فيه إلا الله تعالى.

ثم قال بعدها وختم السورة {وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين} لأن قارئ الآية السابقة بعقل وفتح من الله سيعرف مدى رحمته سبحانه فكانت الآية موضعاً للتذكير بالمغفرة والرحمة الإلهية العظمى فناسبت الدعاء بطلب المغفرة والرحمة من {خير الراحمين}، كما قال الله في زكريا بعدما شهد رزق الله لمريم بغير سبب ظاهر فقال الله "هنالك دعا زكريا ربه" فقال "هنالك" حتى ينبّه على أن الأنبياء يدعون بالرحمة في مواضع نزول الرحمة، كذلك هذه الآية، فإن آية {ومن يدع مع الله} من أرجى وأرحم وأوسع الآيات التي تدل على إرادة الله

بالمغفرة بأكبر قدر ممكن وبرحمة أكثر عدد ممكن حتى من المشركين فما بالك بغير المشركين، لذلك الله {خير الراحمين} ولا توجد رحمة خير من هذه، فإنه يرحم ويجد المعاذير حتى لمن يطعنون في توحيده وهو أخصّ سماته سبحانه، لذلك قال النبي "لا شيء أكثر معاذير من الله"، وهذه الآية امتلأت بالمعاذير الإلهية من شرط العقل إلى شرط البرهان النسبي فما بين ذلك من الدعاء والمعية والألوهية والتأليه والأخروية. مالا يقلّ عن سبعة معاذير، كلها ليغفر ويرحم، فالحمد لله أنه {خير الراحمين} وأنه عرّفنا أنه {خير الراحمين}.

...

بسم الله الرحمن الرحيم

نقدي لخطبة عدنان إبراهيم (حشاشون لكل العصور. بتاريخ ٣٠ اغسطس ٢٠١٩)

١-بدأ بأواخر سورة الحجر لتبيين أن ديننا كله ظاهر ولا باطن وغموض وجمعيات سرية فيه. لكن حتى من الآيات التي ذكرها فيها قوله "واخفض جناحك للمؤمنين"، هذه وغيرها كثير مثل "أشداء على الكفار رحماء بينهم"، و"أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين"، فيها تمييز واضح ما بين جماعة المؤمنين وغيرها، يعني لا تجعل الناس كلهم فريقاً واحداً، بل تميز وتجعل للجماعة المؤمنة تعامل خاص بل يضاد في بعض الأمور التعامل مع غيرها من غير "من اتبعك من المؤمنين" كما في آية أخرى.

٢-احتج لكون الدين كله ظاهر والعمل لابد أن يكون كله ظاهري، ما يسميه هو العمل "في النور" خلافاً لعمل الجمعيات السرية بأنها تعمل "في الظلام"، احتج لذلك بأن "الله نور السماوات والأرض" والنبي الذي هو حسب قول عدنان نفسه "واسطة" هذا الدين هو "سراجاً منيرا". يعني بما أن الله نور والنبي نور فيجب أن يكون عمل العلماء كله في العلن. هل هذا الاستنباط منطقي؟ لنرى.

أولاً، لا علاقة جوهرية ضرورية بين ذات الله وذات النبي وبين كيفية عمل الناس في المجتمع الأرضي مع ظروفهم الخاصة. هذا النمط من التفكير فيه نوع من الفكر الحلولي المادي، بل "الباطني" الذي يجعل ذات الله مثال على كيفية العمل السياسي الدنيوي الذي ينكره الدكتور على ما أظن.

ثانياً، الله نور نعم، لكن هل نوره بمعنى الظهور المادي للجميع والعلني على طريقة "أرنا الله جهرة"؟ كلا. وإلا لما احتاج الدكتور لبذل ساعات وساعات في الرد على الملحدين، كما لا يبذل ذلك في الرد على منكر الشمس الحسية.

ثالثاً، أكمل آية النور، قرأ "الله نور السماوات والأرض" ولم يقرأ بعدها "مَثَل نوره كمشكاة فيها مصباح" و آخرها "يضرب الله الأمثال للناس". الفكر الباطني كله يقوم على هذا التمييز بين متعقل الأمثال وغير متعقلها، "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون". الأمثال هي التي حجبت الجاهل وأدخلت العاقل. ونوره له مَثَل، والقرءان مليء بالأمثال نصاً وواقعاً. نصاً "صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مَثَل"، وواقعاً يدركه من قرأ القرءان بعين ولو نصف مفتوحة.

رابعاً، تناسى الدكتور أن اسم النور ليس هو الاسم الوحيد لله بل من أسمائه "الظاهر والباطن"، نعم "الباطن" كما تعلمون. ومن أسمائه "عالم الغيب والشهادة" فالموجودات مقسمة إذن إلى غيب وشهادة وليس كله شهادة. وأيضاً "عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو" وقال النبي "أسألك بكل اسم هو لك..أو استأثرت به في علم الغيب عندك"، فأثبت أن الله يعلم ما لا يطلع عليه أحداً وعنده وحده مفاتحه، وهذه كلها صفات تدعم التنظيم الباطني كما أن اسم النور حسب تفسير الدكتور يدعم التنظيم الظاهري. ويكفي قوله تعالى "لا تدركه الأبصار" لجعل التنظيم السري أقرب إلى الصفة الإلهية من التنظيم العلني، إن كنا سنجعل ذات وصفات الله مثالاً وحجة على نمط التنظيم. فلا تؤمن ببعض وتكفر ببعض الأسماء إن كنت تريد الفهم والإنصاف.

خامساً، النبي فعلاً "سراجاً منيرا"، لكن اقرأ قوله "وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون"، فالنبي له ظاهر يبصره أبو لهب لكن له باطن وهو نوره لا ينظر إليه إلا مَن كان له قلب.

إذن استدلاله بنور الله والنبي لا يفيده لا من قريب ولا من بعيد.

فإن قال بوجوب عمل الإنسان بعكس مقتضى الصفة الإلهية لأن عبد، كما أن الرسل لها أزواج وذرية بعكس كون الله لا صاحبة له ولا ولدا. نقول: حتى هذا لا ينفعه، لأنه فسّر النور كسبب للظهور في العمل الديني، بالتالي عكس صفة النور ستقتضي حسب تفسيره البطون في العمل الديني وهذا ما عليه الجمعيات السرية، وهنا دين بمعنى الروحي والسياسي معاً.

وإن قال بأن العارف يرى الله ظاهراً بالتالي يجب على العارفين بالله الظهور في عملهم. نقول: هذا أيضاً لا يساعده، لأن الجمعيات السرية وهي مكونة من العارفين حسب اعتقادهم على الأقل، عملها فعلاً ظاهر بالنسبة لأعضائها وعلى حسب درجاتهم كما أن العرفاء

يتفاضلون في درجات معرفتهم فيظهر لكل واحد بحسب استعداده وقابليته. وإنما سرّية الجمعيات بالنسبة للغرباء أو غير العارفين، كما أن الحق تعالى يُحجَب عنه مَن "ران على قلوبهم ما كانو يكسبون".

فانظر من حيث شئت، لا حجّة للدكتور فيما ذهب إليه ضد الجمعيات السرية.

٣-تحدث عن وجوب البيان. نقول: نعم، البيان واقع حتى من الإسماعيلية. بدليل أن كتبهم موجودة ومنشورة ونحن نعرف حججهم وتفاسيرهم الباطنية (ولو لم يحرق حبيبكم الجبار صلاح الدين الأيوبي كتب الفاطميين بعدما ركع لهم ثم غدر بهم لعرفنا أكثر). وبدليل أنه من الممكن الانضمام لهم ومعرفة ذلك. فهل جامعة هارفارد باطنية لأنها تخفي علومها وتدريسها عن غير من يدفع المال لينضم لها، هل كل الجامعات كذلك، هل المستشفيات باطنية لأنهم لا يُظهرون علمهم الكامل وتطبيقه إلا لمن يخضع لشروط تحصيل خدمتهم وينتظر دوره ليخدمه الطبيب. البيان حاصل من ثلاث وجوه عند من يذمهم الدكتور. نعم، إن كان يقصد بالبيان فتح باب الاجتماعات السرية للمنظمة، فهذا لا يقوم به حتى أصحاب شركة كوكاكولا وحفظة سرّ وصفتهم، ولا يقوم به رؤساء الدول الإسلامية ولا غيرهم لا قديماً ولا حديثاً وهو معروف. الجمع بين التنظيم السياسي والتعليمي هو الذي أدى إلى الخلط بين البيان بمعنى تبيين المعاني والبيان بمعنى كشف الأسرار التنظيمية. وأما إن أراد أن يذم الاسماعيلية لأنهم خلطوا بين الدين والسياسة، فليذم أولاً النبي والمسلمين كلهم حتى "الخلفاء الراشدين" فمن بعدهم ولا أراه يفعل ذلك وقد ذكر في الخطبة ما قاله ابن خلدون عن علاقة السياسة بالدين عند المسلمين. ثم التدرج في التعليم ليس كتماً ولا ظلامية، وإلا لوجب اعتبار كل الشيوخ لأنهم لا يحدثون أطفالهم وتلاميذهم من أول يوم عن تأويلات مثنوي جلال الدين الرومي وفلسفات ابن سينا ومجادلات الفخر الرازي، ولكان عدم مخاطبة طلاب البكلوريوس بنفس خطاب البروفيسورات من حملة جائزة نوبل مع بعضهم البعض يُعتَبر كتماً للعلم وعدم بيان.

٤-من اللطائف أنه أقر بأنه حصل انتخاب وتفضيل لبعض الفقهاء (كفقهاء المذاهب الأربعة عند السنة) من بين نحو خمسة آلاف فقيه كل واحد كان له مذهب يدعو إليه. لكن ينسب الدكتور ذلك ليس إلى تدبير خاص من أصحاب هذه المذاهب ولكن إلى ما أسماه "الانتخاب الثقافي" أو الطبيعي أو نحو ذلك. يعني حدث الأمر عفواً وتلقائياً لأن الناس وجدوا قيمة ذلك وارتفاع هؤلاء على غيرهم.

نقول: الاختيار في تفسير هذه الظاهرة بين تدبير أصحاب المذاهب الأربعة ونحوهم وبين الانتخاب الثقافي الطبيعي العفوي، مغالطة. لأن القسمة غير حاصرة. يوجد اختيار آخر وهو أن ملوك العباسيين بدءاً بالذين جعلوا المذهب الحنفي مذهب الدولة وإن سجنوا كالعبد العاصي رأس المذهب، مروراً بمن بعدهم، هؤلاء والقوى الحاكمة حينها سياسةً وتجارةً وجدت هذه المذاهب الأنسب لأغراضها، كملوك المغرب الذين اصطفوا المذهب المالكي، وملوك السعودية الذين اصطفوا المذهب الحنبلي، وهلم جراً. نعم، هذه المذاهب ممتازة من وجوه، وكذلك الفرق العقائدية وراءها، ممتازة لشغل المسلمين كما شغل الحاخامات عامة اليهود بتفاصيل التلمود على طريقة "ما لونها..إن البقر تشابه علينا"، ثم كلهم في الواقع صاروا يقولون بالخضوع للطاغية تحت مسمى طاعة ولي الأمر وبعضهم أشد من بعض في ذلك لكن النتيجة واحدة وهي عين ما نراه الآن من كون مجتمعات المسلمين هي أشد المجتمعات استعباداً واستبداداً. أبدى الدكتور استغرابه من ما سماه "عدم تعلم المسلمين من تاريخهم"، لكن لا غرابة والمفتاح ذكره الدكتور أيضاً وهو أن السياسة مربوطة بأصول الدين. نعم، هذه المذاهب والفرق التي يريد الدكتور جعلها أسوة هي هي التي تسببت في هذه الظاهرة بشكل كبير. بينما الماسون الذين يذمهم ويعتبرهم خَلفاً للاسماعيلية النزارية التي رأسها الحسن بن الصباح مثلاً وضعوا أصولاً جديدة كالحرية الدينية والكلامية والسياسية ولذلك حاربهم ولا يزال يطعن فيهم أرباب المؤسسة الملكية والكنسية. هو اليوم يخطب في النمسا كمسلم بحرية بفضل ما قامت به الثورات التي أشعلها الماسونية خلف النزارية ! والذين رفضوا هذه الأصول يستطيع أن يجدهم الدكتور في السعودية الذين يعرف تماماً كيف عاملوه. فالأفضل أن يتأمل الدكتور في مَثَل "جالس في عُبِّي وبتنتف في لحيتي". فليعمل عنه خطبة ويعنونها: شُكر النِّعَم ولو على يد مَن تختلف معهم.

٥-أراد الدكتور نقض استدلال الاسماعيلية بالسنة النبوية فأقرّ بأمور هي حجة عليه لا عليهم، ثم أعرض عن حقائق ثابتة لأنها لا تساعده، ثم فسّر أحداثاً برأيه ورأيه يلزمه وحده والأحداث تحتمل رأياً مغايراً لرأيه، وأهم شيء أنه لم يفرّق بين حال الرسول وحال العلماء من أمة الرسول.

أما قولي (أقر بأمور هي حجة عليه): فإقراره بأنه كانت للنبي فترة دعوة سرية، حتى يحفظ جماعته القليلة المستضعفة. حسناً، هذا عين ما فعله الإسماعيلية أيضاً ومعلوم أن ملوك العباسية ومن قبلهم وبعدهم كانوا لا يؤمنون بحرية الدين ولا الرأي السياسي، ثم ظهروا حين ظهرت دولتهم الفاطمية وفتحوا معاهد ومكاتب لتعليم الدين واستعلنوا برأيهم تماماً ومن آثارهم

الجامع الأزهر الذي اغتصبه السنة بعد ذلك على يد الأيوبي الجنرال الانقلابي التي تشبه طريقة السيسي مع الإخوان في عصرنا.

وما أعرض عنه فهو تصرفات للنبي مثل إذا أراد غزوة ورى بغيرها فلم يكن "صادعاً مبيناً" من هذا الوجه، وغير ذلك من تفاصيل يقرون بها في سياسة النبي.

أهم فرق يفصل في هذا الموضوع هو أن الرسول فعلاً يجب أن يصدع بالتوحيد ونحوه حتى تقوم حجة الله على الخلق وقد قامت. الآن يبقى العلماء من مختلف الفرق وأصحاب الآراء الذين يريدون نشر فكرهم وإيجاد فرصة لتطبيق مذهبهم. هنا الفاصل. لأن من جاء بعد النبي عموماً كانوا قوماً لا يسمحون باختلاف سياسي (حروب "الردة" كمثال)، ولا اختلاف في الرأي الديني (ضرب عمر لمن تكلم في القرءان ومنعه من التحديث بحديث النبي في مواطن معروفة) ولا إعلان بنقد الحاكم (نفي عثمان لأبي ذر لنقده معاوية)، هذه أمثلة بسيطة لكن زادت بعد ذلك حدتها ودمويتها حتى صار قول "اتق الله" للملك سبباً لقطع الأعناق، فلا يُلام مَن تخفى وعمل في الخفاء بل يُلام مَن أجبر المسلمين كلهم على ذلك.

٦-الدكتور نفسه ذكر في كلام له قول مالك بن أنس عن إخفائه سبب جلوسه في بيته وعدم صلاته في جماعة وجمعة مع الناس، بعدما ضربه العباسيون بالحديد حتى شُلّت يده بسبب قول قاله. فحين يأتي الدكتور في هذه الخطبة ويزعم أن "المؤمن شجاع" ويفسرها بما يعني أنه يتكلم ولو كان فيه هلاك نفسه، فهو يناقض ما يعلمه من أمثلة كثيرة لسلف هو يقر بصلاحهم فعلوا خلاف ذلك. وحال شخص مثل جابر بن زيد مع السفاح الثقفي وغيرهم معروف. الغباء في إعلان الرأي ليس شجاعة، وتعليم الدكتور لهذه الفكرة لا يخدم إلا الطاغية الذي من أحلى ما عنده أن يكفيه المعارضين سياسياً والمخالفين دينياً مؤونة البحث عنهم فيُظهرون أنفسهم وهم ضعاف حتى تطير أعناقهم وتضمحل رسالتهم. نعم، هذا بالضبط سبب ترويج فكرة الارتياب من كل متخفي، لأن مروج ذلك ظاهر في أمان مما يدل أنه مع السلطة القائمة ومشايخها فيجعلون العامة يرتابون فيمن يدعوهم بالسر وخفية و"في الظلام". هذه الفائدة الوحيدة أو الكبرى على أقل تقدير لهذه الفكرة.

٧-ذكر الدكتور حكم الاغتيال. يريد الطعن على ابن الصباح الذين كان يغتال رؤوس خصومه. لكن المشكلة أن أدلته كلها رجعت عليه.

فأولاً لا يوجد في كتاب الله التفريق بين القتل غيلة وعدم غيلة.

ثانياً، حديث "الإيمان قيد الفتك"، لا يمكن أن يُقصَد به ما ذهب إليه الدكتور لأن حادثة اغتيال كعب بن الأشرف المشهورة الثابتة تمنع ذلك، وإلا لناقض فعل النبي قوله. ثم رواية "الإيمان قيد الفتك" يمكن لأهل النقد التكلم فيها من حيث السند، فهي غير متواترة، وراويها في الأصول التسعة إما أبو هريرة وإما معاوية وهما مَن هما في الموثوقية، وفي رواية أبي هريرة أسباط الهمداني والذي جرحه بعض علماء السند ومنهم ابن معين وقال فيه بعضهم أهوج وهالك وليس بشيء ولا يستحق الدخول في كتاب يجمع الصحيح وبعض حديثه منكر وليس بالقوي وكثير الخطأ وعامة أحاديثه سقط مقلوب الأسانيد. وأما رواية معاوية فتصديق كلب ينبح خيرٌ من تصديق معاوية، بل وفي نفس روايته هذه أنه دخل على عائشة فقالت له عائشة "أَمَا خِفْتَ أَنْ أُقْعِدَ لَكَ رَجُلًا فَيَقْتُلَكَ"، مما يدل أن هذا الأمر لم يكن معلوماً بالضرورة أو يأمن منه المعتدي بالضرورة. وأما ابن الزبير، فهي رواية آحاد عن الحسن البصري حسب الأصول التسعة. على العموم ليست لا سنداً ولا فهماً للنص تقتضي رأياً واحداً، ودخول مَن لا أمان أصلاً له لأنه معتدي جبار في هذا الحديث فأمر غير ثابت بيقين تام وأقصى ما فيه اختلاف الرأي، فيقع الاتفاق على منع الفتك بالمسالم والمستأمن، والاختلاف في الحرب والحرب خدعة. ونقطة أخرى هنا، شارح سنن أبي داود الأبرز حاول الملائمة بين هذا الحديث والفتك بكعب بن الأشرف، فلم يُنكر الفتك به، بل قال أن هذا كان إما قبل النهي عن الفتك أو هي مستثناة منه، كلاهما لا ينفعه، لأن الحديث خبر عن علاقة الإيمان بالفتك فلا يتغير بالنسخ، ولأن الاستثناء غير مبرر هنا وإلا لكان معنى ذلك أن قتل ابن الأشرف كان كفراً ضرورياً وهو كما ترى. هذا تخريج وترقيع لا يُجدي.

ثالثاً، احتج الدكتور بقول المالكية في المغتال بأنه يُقتَل حداً ثم استدرك وذكر أنهم يقيدون ذلك فيمن يغتال لأخذ المال، وهذا يرد قوله ويبين أن الاغتيال المنهي عنه ليس ما كان بين الأعداء المتحاربين بل ما يمكن تسميته بالاغتيال المدني. ثم ذكر حجة أعجب وهي فتوى الوهابية في السعودية التي تشدد على الاغتيال، لكن فاته ما قام به الوهابية في تاريخهم من اغتيال خصومهم، وسيفوته بعد ذلك ما قامت به الدولة السعودية مع جمال خاشجقي، فهؤلاء لا يعتقدون بتحريم الغيلة لا مع مخالفيهم في الديانة أو السياسة، وهمهم فقط حفظ الأمن الداخلي المدني داخل حدود دولتهم.

أقر الدكتور بالحرف أن جماعة ابن الصباح لم تكن تغتال "الناس العاديين" ولكنها تغتال "الناس المهمين". ممتاز. هذا اعتراف قيّم. يعني لم يقصدوا إرهاب المدنيين والعامة، بل غرضهم مدروس وهو رؤوس أعدائهم الذين يريدون تدميرهم كما هو معلوم. هذا المستوى لم يرتقي إليه الملوك من بعد عهد النبي حتى يومنا هذا، وهم الذين يعتبرهم الدكتور أهلاً للطاعة

وقد ذكر مثلاً السعودية الوهابية والتي في ماضيها وحاضرها من العنف والسفك بل والفتك ما الله به عليم، فمن الفتك بالمعارض صاحب تاريخ آل سعود إلى غيره بل وتعذيب النساء ممن "جريمتها" قولها كلمة. ابن الصباح كان أضعف من المواجهة المباشرة، وكان أكرم من الخضوع للطاغية، فما الذي بقي أمامه غير ما قام به. معاوية سمّ الحسن بن علي وأكثر أهل السنة يترضون عليه إلى اليوم ولا يكتفون بالترحم بل لا يكتفون بعدم لعنه حتى زادوا بالترضي. سعد بن عبادة اغتُيل على يد "الجن" كما يقولون، يبدو أن الجن كانوا يكرهون سعداً لأنه أعلن الخلاف على أبي بكر وعمر. كم اغتال بالسم وغيره ملوك العباسية من علماء وأولياء وصالحي العلويين وغيرهم من المسلمين. اقرأ مقاتل الطالبيين والتاريخ لتعرف شيئاً من ذلك. الآن القتل بالنار ممنوع لكن على رأي بعض الفقهاء يجوز إن كان العدو يستعمل النار في الحرب، كذلك لنقل الاغتيال ممنوع لكن ابن الصباح وغيره لهم عذرهم إن كان عدوهم يغتال ويفتك ويدس السم في العسل ويفعل ما هو أقبح من ذلك من تعذيب وسجن وهدم حيطان فوق رؤوس الناس وحرق وتقطيع أوصال ودفن الناس أحياء. أنت تريد معاملة إنسانية مع وحوش، بل أشد من وحوش وأضل سبيلاً.

نقطة أخرى، الدولة الفاطمية لم تكن معروفة بالاغتيالات وهذا يدل أن الأمر كان ضرورة لابن الصباح لضعفه واضطهاد أتباعه وليس ركناً في تفكير الاسماعيلية من حيث هم كذلك.

ويتحدث الدكتور عن أن من سيئات الفرق الباطنية وكأنها من خصائصهم أنه يقتل بعضهم بعضاً. وكأنه غاب عنه ما فعلته كل فرق ودول المسلمين من ذلك، ويكفيه ما فعله العثمانيون بأولادهم وإخوانهم من مذابح ممنهجة حفاظاً على دولتهم. ولا أدري هل يعد الدكتور فتك الطاغية العثماني بإخوانه حين يرتقي عرشه فتكاً آثماً أم هو مما يُغتَفَر للسني ويؤاخذ به غيره فقط. مع ملاحظة أن ابن الصباح وباعتراف الدكتور قتل ولديه عدلاً وشرعاً وجعلهم مثل بقية الناس في سراية القانون عليهم، ولم يقتلهم حفاظاً على كرسيه.

ملحوظة مهمة: هذا مثال على "الفتك" الذي شنّع به الدكتور على ابن الصباح، بل أشد مما شنع به عليهم بكثير. في السيرة النبوية، اقرأ عن سرية عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة. وهذا نص السيرة الحلبية (في تلك العير عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان، ونزلوا قريباً من عبدالله وأصحابه وتخوّفوا منهم. فأشرف عليهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه أي [وتراءى لهم ليظنوا أنهم عماراً فيطمئنوا] أي وذلك بإرشاد عبدالله بن جحش رضي الله تعالى عنه فإنه قال لهم {إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم}. فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم، [فلما رأوا رأسه محلوقاً قالوا: عُمّار] أي هؤلاء قوم معتمرون لا بأس عليكم منهم". انتهى. أقول: انظر ما وضعته بين قوسين

خصوصاً، لترى أن الصحابة هؤلاء تظاهروا بغير ما أبطنوا، وفي الشهر الحرام، واستغلوا صورة المعتمر الدينية المحرمة والسلمية، وجعلوا القرشيين يشعرون بالأمن تجاههم واطمأنوا لهم لصفتهم الدينية كمعتمرين، ثم "قتلوا عمرو بن الحضرمي" وأسروا وأخذوا الأموال. ولما رجعوا إلى رسول الله لم يعترض على فتكهم هذا وحيلتهم، بل اعترض فقط بأنه لم يأمرهم بالقتال في الشهر الحرام ثم نزلت آيات سورة البقرة تبيح ذلك. وتأمل سبب الإباحة وهو كما نقله صاحب السيرة الحلبية "{والفتنة} الشرك أي الذي أنتم عليه أو حملكم مَن أسلم على الكفر بالتعذيب له {أكبر من القتل}"، يعني بلغتنا المعاصرة، عدم الحرية الدينية أكبر من القتل. وهذا بالضبط كان الحال في زمن ابن الصباح ولا يزال. المهم من هذا المثال أنه فتك من الصحابة مع حيلة واستعمال حتى مظاهر التدين كحيلة لقتل وأخذ أموال القرشيين طبعاً المعتدين في الجملة على المسلمين من قبل. لكنه على أية حال فتك.

ومثال آخر على ما ذكره شيوخ السنة أيضاً على الفتك تجده في قصة سرية عمير بن عدي الخطمي الضرير إلى عصماء بنت مروان اليهودية، فإن كنتُ أنا أرفض نسبة ما ذكروه للنبي، لكنهم يقولون بأن النبي أهدر دمها، واغتالها عمير إما بدخوله عليها ليلاً وقتلها وهي نائمة قصداً وإما أنه احتال عليها أثناء الشراء منها فقتلها. على الوجهين هم يروون القصة بنحو يبرر قتل من يسب النبي والإسلام والسب كلام وهو اغتيالاً للنساء. أنا أرى القصة فيها قتل خطأ من ضرير لتلك المرأة، لكن رأيي لا يهم هنا والمهم ما يقوله هؤلاء الشيوخ الذين يبررون القتل بسبب القول وهو اغتيالاً. واقرأ كذلك قولهم في الفتك بأبي عفك اليهودي الشيخ الفاني الذي اغتاله سالم بم عمير، كمثال آخر في الباب. نعم في الحالتين يذكرون تحريضاً من هؤلاء على النبي، فلو قلنا بأنه تحريض على قتال النبي وهذا يبرر قتلهم، لكن قتلهم تم غيلة وحسب تعبير صاحب السيرة الحلبية "فطلب له غِرّة أي غفلة". وهذا يتسق تماماً مع عمليات ابن الصباح مع خصومه. وأما قتل ابن الأشرف فذهب لاغتياله جمع من الصحابة رأسهم مَن ابن الأشرف خاله وفيهم أخاه بالرضاعة، وفي الرواية السنية أن النبي أباح لهم الكذب حتى يصلوا إليه، وهذا أذكره للرد على ما ذكره الدكتور من خبث الجماعات السرية وفتكها بأقاربها وما أشبه هذا المعنى وكذلك لما يذكره من تخفيهم وكذبهم وإعلانهم غير ما أنفسهم حتى يطمئن إليهم من سيغتالونه بعد ذلك من أعدائهم المعتدين عليهم. وتوجد أمثلة أكثر. وتدل كلها على أن "الإيمان قيد الفتك" ليست على المعنى الذي يذهب إليه الدكتور.

٨-وأما نظام الملك الطوسي الذي اغتاله ابن الصباح، فكان أكبر وزير وظيفته إبادة الاسماعيلية فكراً وواقعاً بالعنف. ويعرّض الدكتور بنذالة ابن الصباح بحجة أنه كان زميل

نظام الملك في المدرسة، وغاب عنه أن الصحابة كانوا يقتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم في سبيل الحق حين صاروا معتدين محاربين للنبي والمسلمين. نعم، إن كان نظام الملك اسمه نظام الديمقراطية، واغتالته الاسماعيلية لأنه يحافظ على حرية الدين والرأي والتداول السلمي السلطة بالانتخابات النزيهة حينها تستطيع انتقادهم. أما في قذارة المشهد السياسي في ذلك الزمان، فبحسب الإنسان أن يكون أقل قذارة من خصمه ليكون من النبلاء. وبهذا المعيار ابن الصباح كان أنبل من السلاجقة قطعاً وعبدهم نظام الملك. فانظر ما فعله سلف السلاجقة بالديالمة الشيعة من قبل من قتل وإبادة وافتخار ألب أرسلان بأن الله سلطهم عليهم لأنهم لا يعرفون "الهوى والبدعة" كأولئك الشيعة. وورد في بعض النصوص عن عهد ملكشاه الذي يترحم عليه الدكتور أنه بلغ الإزراء بالرافضة حداً كبيراً "ليؤمنوا"، يعني ترك التشيع جبراً، وبعض الشيعة حينها الذين تكلموا في مناقب أهل البيت قُطِعَت ألسنتهم، نعم قطع ألسنة، هذا عند من يأتي الدكتور في النمسا الحديثة ليعظ الناس بوجوب عدم الفتك لأن الإسلام حرّم ذلك وإلا قليل سيبكي على قتلاهم على يد ابن الصباح. في أحد النصوص أن نظام الملك كان متعصباً ومن آثار قمع وإذلال وامتهان وهتك حرم وسب شيوخ الشيعة عموماً ويسمون الاسماعيلية بالملاحدة. نعم الشيعة الإمامية كانوا يهانون أيضاً لكن لأنهم لم يطمحوا للسلطة فقد كانت الشدة عليهم أقل نسبياً، أما الاسماعيلية فيا ذابح يا مذبوح. بل يذكر بعض المدافعين عن السلاجقة من الإمامية أن الذي كان يحرّض ملكشاه على الشيعة هو نظام الملك تحديداً. فتأمل. وكان هذا كما يظهر من كتابه المشهور في السياسة يحرّض على عدم استعمال الشيعي في الخدمة الحكومية وهذا تمييز وتعصب لا أظن الدكتور سيستحسنه لو وجده في زمننا هذا. الحاصل، نظام الملك خصوصاً والسلاجقة عموماً كانوا ضد الشيعة عموماً والاسماعيلية خصوصاً وبعنف وتعصب وحدة وقطع ألسنة وقتل وإهانة وقل ما شئت. فنظام الملك كان الوزير والمحرض، يعني المنفّذ للعنف والراسم لسياسته والداعي إليه والمبرر له. فلا غرابة أن المظلوم رد على الظالم، بل الغريب صبر المظلوم ليوم يقوم الناس لرب العالمين.

٩-احتجاج الدكتور بأن النبي صبر عشر سنوات قبل الهجرة وبعد ثلاث سنوات من "الاستسرار" (يبدو أنه يريد البعد عن كلمة الدعوة السرية قدر الإمكان باستعمال هذه الصيغة)، يقول بأن هذا دليل على وجوب الصدع والإعلان وعدم الفتك. هذا رأيك وتفسيرك للوقائع. ويوجد رأي آخر، وهو أن النبي كان يمنعه ويحميه عمه وعشيرته، ولم يكن هناك مكان آخر غير مكة للهجرة إليه وكان النبي يبحث عن ذلك بحرص كما هو معلوم، فلا حل إلا الصبر، لأنه إن فتك بهم سيبيدونه ومن معه ولن تبقى للهاشميين حجة في الدفاع عنه مطلقاً، ولكن

بالصبر والمسالمة للضرورة منع ذلك. فلما هاجر أعلن الحرب عليهم ولم يترك لهم "الجمل بما حمل" كما عبّر الدكتور، بل رجع لأخذ الجمل بما حمل بجيوشه واسترداد حقه وحق المسلمين بقوة سلاحه.

ويسأل الدكتور "أين العمل السري"؟ اقرأ عن بيعة العقبة الأولى والثانية مثلاً، فقد كانتا من العمل السري. الهجرة نفسها، موعدها ومكانها، كانت عملاً سرياً. كثير من المؤمنين كانوا لا يعلمهم حتى النبي ومن معه وبنص القرءان "لم تعلموهم أن تصيبكم منهم معرة بغير علم".

١٠-يسأل الدكتور عن "سرّي ممن؟" يريد بذلك التفريق بين عمل النبي ومن معه السري جدلاً وبين عمل الباطنية، بحجة أن النبي كان وسط مشركين بينما الباطنية كانوا وسط مسلمين فهذا فرق.

أقول: فضحت نفسك ومن معك بهذا ! الفارق الحقيقي ليس التوحيد والشرك، الفارق هو الإكراه في الدين والجبر في السلطة. نعم، في ذلك العهد كان المُكرِه المتجبر أيضاً مشركاً بالله، لكن ويا للعار والشنار صار تحت شيوخ مذهبك الدولة المسلمة مثل المشركة في القتل على الدين والاختلاف في المذهب ومنع إعلان الاختلاف في الرأي السياسي. هنا الفارق الحقيقي وليس حيث ذهب الأخ. وكأنه يريد أنه طالما الدولة تعلن لفظاً بالتوحيد فيجب على جميع الناس التنازل عن حريتهم وحقهم في الدين والتعبير والدعوة والتغيير. التوحيد حق الله، الحرية حق الإنسان. فإن كان توحيدهم لم يكفهم عن قمع الناس فلعنة الله عليهم وبئسما يأمرهم به إيمانهم إن كانوا مؤمنين أصلاً. يريد الدكتور خداعنا بشعارات التوحيد التي يرفعها حكام يبيع الواحد أمه للشيطان من أجل السلطة، وبدلاً من تعليم الناس المقهورين فن المقاومة يحبطهم ويكسّر أفكارهم بوعظ أجوف نهايته العملية الخضوع الذليل للطاغية. ويقول بأن الأمة تقوم بالشعائر وهذا دليل إسلامها، نعم ولكن ليس من أجل هذا نشأت التنظيمات السرية بل نشأت لانعدام الحرية وفرص التغيير السلمي المنظم، فلا علاقة بين حج الملايين للبيت وبين كون نفس هؤلاء الملايين تملكهم عصابة مسلحة باسم الدين والطاعة الشرعية. هذه مغالطة مفضوحة. يريد التغطية على قمع الحكومة الطاغية بشعائر الشعوب المتدينة. لا علاقة بينهما.

١١-يذكر أن النبي قال ما معناه أن الأمة لن تشرك وتكفر بعده. ويتخذ هذا حجة ضد الذين يكفرون المجتمعات الإسلامية. يبدو أن الدكتور قد تبين له غير ما تبين لأبي بكر ومن معه الذين اعتقدوا "ردة" ما لا يعلم عدده إلا الله من المسلمين أيام النبي، وكذلك يبدو أنه نسي احتجاجه قبل قيل برأي وهابية السعودية (وعمله لاحقاً عند أحد أمرائهم ومدحه لطاغيتهم الجديد) مع أن

القاصي والداني يعلم أن تكفير المسلمين واعتقاد شركهم ونقض إسلامهم هم واحدة من أشهر عقائد الوهابية السعودية. ثم يبدو أيضاً أن الدكتور أخذ حديثاً وترك أحاديث كثيرة مثل أنه من بعد النبي سيخرج الناس من دين الله أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا ويأتي يوم لا يعلم الناس فيه ما الصلاة وما الصيام وما أشبه.

ثم إن العبرة في الاضطهاد على الدين، وهذا ما كان أيام قريش وهذا ما هو حاصل بعد النبي وإلى يومنا بل وبتشريع وتفصيل كثير على أيدي الفقهاء الذين جعلوا قائمة الحكم بأن الإنسان مرتد أطول وأعمق وأعرض بكثير من قائمة الحكم بأن الإنسان "صابىء" أيام الجاهلية الأولى. فالدكتور يغالط حين يخفي هذه الحقيقة ويروج كأنه من المدخلية الجامية لعقيدة الخضوع للطاغية ما دام يسمح بلفظ التوحيد وتحريك الأبدان في المساجد بشرط الخضوع له خضوع العبيد أو أشد.

١٢-يلوم الدكتور الجماعات السرية ونحوها على أنها التي فعلت ما خشيه النبي على الأمة من تفرقها وتكفيرها بعضها البعض وتقاتلها، ويعتبر قول بعض هذه الجماعات أن الأمة ارتدت وكفرت وعادت للجاهلية حسب تعبيره "كلاماً إنشائياً" و "فارغاً".

أقول: أول من رمى المسلمين بالردة والكفر وقاتلهم هم فرقة أبي بكر بعد النبي أي السنة، هذا تاريخياً ثابت عند الكل. ثم أكبر مكفّر في تاريخ المسلمين وأدى إلى تكفير الأمة في زماننا وهو جذر التكفير الذي يبغضه الدكتور هو ابن تيمية وهو سني وابن عبدالوهاب وهو سني ومصادره سنية (والدكتور نفسه في محاضرة له يقول يستشهد على سنيته بأمور منها أن مصادره في كلامه سنية، وبنفس المعيار ابن عبدالوهاب سني). ثم قائمة التكفير والتبديع عند السنة من أشاعرة وماتريدية وسلفية، وقائمة التبديع في مذاهبهم الفقهية السنية، ليست أقل قطعاً من قائمة الفرق الأخرى هذا إن لم تزيد عليها. ثم أكبر وأفحش دول الطغيان عبر التاريخ وإلى يومنا هذا هي دول سنية كلها، وتبرير حكم المتغلب رأي سني، ولا يترضى على أمثال معاوية والحجاج الثقفي ويزيد وطغاة بني عثمان ونحوهم إلا أناس من السنة. لوم غير موفق بالمرة وصاحبه وفرقته أولى به.

١٣-اعترف الدكتور بأن الفساد والتحلل وتعطيل حدود الله كان منذ أيام الدولة الأموية فما بعدها. أراد بذلك الاحتجاج على فرق مثل الإخوان ونحوهم على ما يبدو من إشارته.

نقول: هذا اعتراف على رأس فرقتك السنية، لأن فقهاء وعلماء فرقتك عموماً خدموا ورضوا واعترفوا بشرعية كل هذه الدول ونظّروا لها باسم الله والإسلام حتى مرة جعلوا الخليفة خير

من الرسول، ومرة جعلوه نائباً للرسول، ومرة جعلوه ظل الله، والمقتصد فيهم من اعتبره شرّاً لابد منه فلابد من طاعته ولو تغوّل البلاد واستغل العباد، إي نعم، بشرط أن لا يصدر منه "كفر بواح"، فجعلوا في قلوب الناس أن كل تغول واستغلال واستعباد واستبداد ليس من نواقض الطاعة، وليس كفراً بواحاً. ولو عرف فرعون أن اتباعه موسى سيجعل الناس تخضع له هذا الخضوع لكان أول العابدين لله رب العالمين.

وأما اعتراض الدكتور على تصوير ماضي الأمة الفاسد بأنه يعطي فرصة للملاحدة للطعن بالدين. فهذا لا ينفعه. لأنه اعترف بالفساد فعلاً وأقر به واقعاً، فما يترتب عليه يجب قبوله كان ما كان عقلاً. استعمال التاريخ وتصويره بصورة تناسب المصلحة ولمجرد الدعاية للدين أو المذهب هو ويا للغرابة من ميزات بعض أسوأ المنظمات "الباطنية" أو "الظلامية" الانتهازية. ثم إن التاريخ الفاسد هو التاريخ السياسي للأمة، وليس تاريخ العلماء والربانيين والروحانيين فيها، الذين عانوا ما عانوه عبر القرون على يد تلك الدول وشيوخها والعوام فيها أحياناً، والذي كان واحد من أكبر بل أكبر أسباب إنشاء الجماعات السرية. دين الله أكبر من أن يحكَم عليه بالفشل لأن فرقة من طلاب الدنيا شرعنت الطغيان باسمه، أو رضخت للطغيان البشري كأنه القضاء والقدر الإلهي بدلاً من أن تعمل بكل حيلة وطريقة للتخلص منه كما فعلت المنظمات السرية مثلاً أو على الأقل بعضها والتي مهما قيل عن سيئاتها فإن لها حسنة كبرى وهي رفضها الرضوخ والاستسلام والسلبية في وجه طغيان الحكومة أو عدوان العامة.

١٤-ذكر ذرائع المنظمات السرية للعمل في السر:

أ-قال ما حاصله: لا تستطيع أن تقيس استسرار النبي مع المشركين باستسرارك أنت وسط المسلمين الموحدين.

نقول: بل يصح القياس لأن العلة هي الاضطهاد وليست نوعية عقيدة المضطهد لك. بل ذنب الموحد الذي يضطهد في الدين والسياسة أشد من ذنب المشرك، فإن المشرك جاهل لكن ما عذر الموحد؟ اقرأ قول موسى لبني إسرائيل "عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون"، هذا إنذار لهم بأن لا يستعبدوا ويفسدوا ويعيدوا عمل آل فرعون معهم حين تصبح القوة لهم، ولا يخفى أنهم فعلوا ذلك بعينه حتى صاروا يقولون بافتخار "قتلنا المسيح". كذلك هذه الأمة. عانت تحت طغيان قريش حين حكمت قريش عليها بأنها صبأت وفرقت الأمة وجلبت الفتنة للمجتمع، ثم لما صارت لها القوة فعلت نفس الشيء وبنفس الذرائع بل أشد.

ب-قال: المشركون عادوا توحيد النبي ولم يعادوا برنامجه في إنشاء الدولة.

أقول: لم يكن ثمة فرق بين الأمرين على التحقيق، فإن توحيد النبي وطاعته وبيعته والدخول في جماعته يعني تغيير الطابع السياسي بل والاقتصادي وبقية نواحي الحياة في مجتمع مكة. "إن نتبع الهدى معك نُتخطف من أرضنا" وآيات وأحاديث كثيرة وحتى كلمات نفس الذين اضطهدوه وأصحابه تبين أن الأمر لم يكن مجرد اختلاف في مسألة ميتافيزيقية بين مدرسين في كلية عقائدية. تفريق الدكتور الحاد بين الديني والسياسي لا يعرفه لا النبي ولا كل المسلمين عبر التاريخ عموماً. الإمارة والإمامة تُدرَس مسائلها في كتب العقائد، حتى عند السنة. اذهب وافتح كتاباً فقهياً تقليدياً سنياً ولن تجد فيه بحوثاً في الإمامة والسياسة. فلو كان الإسلام فعلاً يختلف عن السياسة، وبرنامج الدين منفصل ومستقل عن البرنامج السياسي، فالواجب أن لا نرى لا في كتب العقائد ولا في كتب الفقه كلاماً في السياسة. الواقع أننا نجدها في كتب العقائد، والقضاء وتفاصيله والمعاملات الداخلة في باب البرنامج السياسي قطعاً بالمعنى الواسع لذلك أيضاً من الدين والفقه الإسلامي التقليدي. بل عدم قبول إمارة أبي بكر وعمر كافية لإخراج الإنسان من الفرقة السنية بل وتبديعه هذا إن لم يكن تكفيره، بينما الأمر قضية سياسية بحتة كما يقول. حرب أبي بكر ضد أناس انشقوا عنه سياسياً ورفضوا دفع الضريبة له جعلوه "ردة" وديناً وقتلوا عليه وسبوا ونهبوا.

هذا مثال من متن "أصل السنة واعتقاد الدين" لأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين، يقولا فيه "ولا نرى الخروج على الأئمة ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ولا ننزع يداً من طاعة...وأن الجهاد ماضٍ..مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء". أقول: كما ترى جعلوا إنشاء الدولة أمراً إلهياً، والخضوع لها شرعاً، والمحاربة العسكرية معها ديناً، وكل ذلك عقيدةً. عقيدة وليس رأياً فقهياً، فضلاً عن أن يخرجوه من الدين بالكلية.

واقرأ ما كتبوه في ذيل آية "وأولي الأمر منكم" وما هو شائع في عقول وعواطف وتنظيرات عموم الأمة إلى اليوم لترى أن ما تسميه "البرنامج السياسي" هو من صلب الدين. والأحاديث في الباب كثيرة مشهورة يصدع بها شيوخ السنة قبل غيرهم، من وهابية وأشعرية وغيرهم، صباح مساء. وانظر في المعاصرين مثلاً ما يقوله سعيد فودة وعبدالقادر حسين ويسري جبر، كثلاث أمثلة لسنيين أشاعرة ومتصوفة وعلماء تقليديين تخرجوا من معاهد السنة الكبرى ومن أشد خصوم الوهابية، ومع ذلك الكل متفق على جعل الخضوع للدولة ديناً والسياسة من صلب برنامج الدين توحيداً واعتقاداً أنها بقضاء الله أو شرعاً وما أشبه من تبريراتهم التي إن لم تكن كلها دينية فعلى الأقل الدين فيها.

فمحاولة الدكتور فصل البرنامج الديني عن البرنامج السياسي لدعوة النبي أمر مرفوض بتاتاً ولا يقرّه عليه ولا حتى المشركين أنفسهم، فضلاً عن التاريخ والمصادر السنية قبل غيرها. وهي مغالطة سيئة. وكأن الإسلام صار مسيحية تعطي ما لله لله وما لقيصر لقيصر. بل حتى المسيحية ذاتها لم تعرف الفصل الحاد بين الدين والسياسة منذ أيام قسطنين كما يعلم المحققين في المسألة، وبين يدي فتوى لأحد البابوات الكاثوليك من أواخر القرن التاسع عشر وهي فتوى سميتها "طاعة ولي الأمر المسيحي"، والبابا تبعهم هو رسمياً ملك مطلق السلطة إلى اليوم في مدينة الفاتيكان. اليهود قطعاً لم يعرفوا الفصل بين الديني والسياسي، وموسى بن ميمون يشرح الأحكام الشرعية المختصة بالملك في كتابه "مشنه توراه" أو تثنية المشناة التي رتّب فيها أحكام الشريعة اليهودية. الهندوس أيضاً من أيام مانو صاحب الشريعة جعلوا الملوك طبقة تحت العلماء وفوق البقية وهم الغالبية وجعلوا ذلك التنظيم ديناً. الحاصل: لا يأتي الدكتور برأي علماني حداثي ويُسقطه على زمن النبي وأديان تعتبر فقدان السلطة السياسية لعنة تُصيب الأمة. وهل كان أول خلاف في هذه الأمة من يوم لفظ النبي آخر أنفاسه بل وأشد خلاف إلا الخلاف في السياسة ! وكلهم جعلوه ديناً، وكلهم أسسوا له نظرياً باستدلالات دينية.

ثم من غير المعقول أصلاً أن لا يكون للنبي بل لأي عاقل له دعوة هو يعلم أنها محاربة وأكثر الناس على خلافها، أن لا يكون له "برنامج سياسي". النبي دار على القبائل وعانى ما عانى ليس بسبب قلة علمه وضعف أخلاقه ولكن بسبب عدم وجود قوة سياسية لديه، وكان يطوف ويبحث عن من "يمنعه" يعني بلغتنا يعطيه لجوء سياسي بل زيادة على ذلك كان يطلب دعماً سياسياً حتى يبلغ الدين في أقطار الأرض. حين جاء الأنصار من المدينة لم يكتفوا بالصلاة مع النبي بل كان النبي يأمر ويؤمِّر ويقود الجيوش، وهذا أظهر من أن يُذكَر. وحين يدخل مشرك في دين النبي فإنه يعلم تلقائياً أنه سيبايع ليس فقط على التوحيد العرفاني بل على الطاعة السياسية أيضاً وقد تكون على الموت كبيعة الرضوان. الدكتور يجادل في البدهيات التي يعلمها حتى غير المسلمين عن الإسلام، وهو أن الإسلام يجمع الروحاني والسياسي. وهذه كانت الممارسة التاريخية، إلا إن كان الدكتور يريد أن ينضم إلى الذين ذمهم قبل قليل لأنهم يزعمون أنه عبر أربعة عشر قرناً لم يفهم الناس الإسلام حتى جاءوا هم في هذا العصر وفهموه، فتلك مسألة أخرى تدخل في باب عدم التناسق النظري أو استعمال أي حجة حين تنفعك ورفضها حين لا تنفعك كالمطففين والعياذ بالله.

ج-يقول الدكتور أن النبي لم يكن له بالمرة يفكر بإنشاء الدولة، وفي الجملة التالية يربط هذا بأن النبي ليس براجماتياً سياسياً.

نقول: أولاً، ليس بالضرورة أن يكون يفكر بإنشاء دولة بالمعنى الخبيث والمداهن، فالدكتور يربط ما هو غير مربوط بالضرورة.

ثانياً، الدولة لها معاني مختلفة لكن الحد الأدنى هو أن النبي كان له نظام هو على رأسه وله تصرفات في الحكم والجنود والإمارة ووغير ذلك. فقد تكون نبياً وسياسياً معاً، فلا تناقض جوهري بين النبوة والسياسة. ويكفي من القرءان قصص داود وسليمان، وأحكام كثيرة من باب الحكم.

ثالثاً، يستنتج الدكتور أن النبي لو كان سياسياً براجماتياً لرضي بعرض قريش له حين عرضوا عليه المُلك. هذا استنتاج بلازم لا يلزم. إما لأن النبي يريد الطاعة تديناً لا من باب المفاوضات الدنيوية، فهذا خلاف في طريق الطاعة لا في نفس الطاعة. وإما لأنه حتى من باب العقل السياسي البحت كان قبول عرض قريش خطئاً، لأنه قد يكون حيلة وبمجرد قبول النبي له سيعلنون أنه طالب دنيا فيخسر دعوته وما عرضوه عليه معاً.

رابعاً، الدكتور يربط ما بين طلب المسلمين من أهل الجماعات السرية للدولة وما بين فرض الرأي والمعتقد على الناس بالقوة. مرة أخرى، لا ملازمة لا عقلاً ولا واقعاً. فعقلاً، قد يطلب الضعيف المقهور الدولة حتى يخرج عن حد الاستضعاف، ثم يحكم بالحرية الدينية للجميع. وواقعاً، خذ مثلاً في هذا العصر مصر أيام الإخوان فإنها بالرغم من كل شيء كانت الفترة الوحيدة من أيام الفراعنة إلى هذا العصر استطاع كل المصريين انتقاد الدولة وإعلان رأيهم بحرية حتى أن الفرد المهرج يسخر من الرئيس والجماعة يومياً ويبقى سالماً ومصر لم تذق مثل هذا لا من قبل ولا من بعد كما هو مشهود اليوم، فهذا الواقع الذي شهدناه، وأما القول بأن الإخوان كانوا يخططون للقمع مستقبلاً فهو تكهن وتوقع وليس ما كان ووقع، وما جاء بعدهم من حكم يفتي بوجوب الخضوع له شيوخ السنة المعادين للإخوان هو فعلياً وواقعياً أسوأ مما زعموا أن الإخوان كانوا يقصدون إليه.

خامساً، يدعي الدكتور أن النبي أراد فقط تبليغ الناس التوحيد لإخراجهم من الوثنية. لو كان الأمر كذلك، فلا أدري ما علاقة أحكام الحيض والنفاس، ودخول الحمام بالرجل اليمنى، وكيفية حلق الشعر بالتوحيد بالمعنى الذي يذهب إليه الدكتور، ولا نقل شيئاً عن أحاديث النبي عن الطاعة والولاية والعدل وما إلى ذلك. لو كان التوحيد على ما يقوله الدكتور، لوجب أن يكون القرءان بضع صفحات بل لعل "لا إله إلا الله" كافية شافية والسلام. هذه مغالطة عظمى، واختزال الدين بنحو فاضح لا يُقبَل من قارىء قرءان ومطلع على الحديث والتاريخ كالدكتور.

د-يرد على استدلال الجماعات السرية بآية "إلا أن تتقوا منهم تقاة".

فيبدأ بالإحالة على تفسير الطبري. فنقول: مبدئياً الطبري يلزمك كسني، ولعله لا يُلزم حتى الذين رجموا الطبري بالحجارة من الحنابلة السنة حتى دُفن في بيته على ما أذكر.

ويُثنِّي فينقل قولاً عن معاذ ومجاهد مضمونه نزول الآية "كان هذا في جِدَّة الإسلام أما اليوم وقد أعز الله الإسلام فلا يتاقي المسلمون عدوهم"، ويقول أن مبعث المتاقاة هو أن تكون "ضعيفاً مستوحشاً بين قومٍ مشركين". نقول: هذه حجة عليك. لأنك اعترفت بأن التقية من الشريعة ومحلها الضعف، لكنك أضفت من عندك قيد الشرك وليس هو لا في الآية ولا في الرواية عن معاذ ومجاهد، والحق أنه لا مكان لهذا القيد لأن الإكراه إكراه، ومن هنا استباح كل العلماء تقريباً التقية أيام العباسيين أيام محنة خلق القرءان مثلاً وقبل ذلك وبعده أمثلة، بل بيّن ابن حزم في باب الإكراه من المحلى وروى عن ابن مسعود على ما أذكر أنه أباح قول ما يمكن أن يدفع عن الإنسان الضرب ولو سوطين اثنين. علة التقية الإكراه، والعبرة بالإكراه الكراهة لا المُكرِه. وأما قولك برفع التقية في حال كان المسلم يتعرض للإكراه على يد مسلمين فإنما هو تسهيل للطاغية ونشر لارتياب المسلمين ممن يخفي نفسه وعقيدته الفعلية.

ثم يثلث بأن جوهر التقية هو حسب ابن عباس "أن يتكلم بلسانه لا عن إيمان قلب ولا يقتل ولا يأتي إثماً" أو "عن ظاهر لا عن باطن" حسب ابن العربي. ثم يضيف الدكتور من عنده شرط "التعذيب الفظيع" حتى تصح التقية، ويضيف شرط أن يكون المسلم بين "مشركين يعادون التوحيد". أقول: هذا إقرار بالتقية من حيث المبدأ، فهذه عليك وللباطنية والجمعيات السرية. ثم تقييدك لها بأنها بالكلام فقط وتحت التعذيب ووسط المشركين فقط، فهذه دعاوى يجب أن تأتي عليها بأدلة ولا دليل. أما أنها ليست بالكلام فقط، فقد تكون بالفعل التعبيري أيضاً. ونعم لا إثم ولا عدوان فهذا أمر يشترك في النهي عنه كل المسلمين. وأما أن الإكراه ما كان تحت التعذيب فقط فباطل ويكفي الدكتور الشافعي أن يقرأ باب الإكراه من كتاب السيوطي الشافعي الأشباه والنظائر حيث بيّن هناك أن الإكراه قد يكون حتى بالإهانة العلنية لبعض الناس. وأما أن التقية وسط المشركين فقط، فسبق الرد عليها.

ثم يربّع بأن التقية المرفوضة هي التي تكون من مسلم لمسلم من أجل هدف واحد هو "تغيير نظام سياسي". أقول: أولاً تغيير النظام السياسي ليس أمراً صغيراً وتافهاً حتى تستصغره كهدف، ويكفي أن ترى ماذا فعل ويفعل وبماذا أفتى ويفتي أهل فرقتك للحفاظ على نظامهم السياسي الطاغي الفاسد، بل خطبتك كلها هي في المحصلة دفاعاً عن الوضع القائم والأنظمة السياسية الحالية ضد خصومها من الجماعات السرية.

ويخمّس فينصح الذين يريدون أن "يلعبوا" سياسية أن لا يقحموا الدين. نقول: السياسة ليست لعبة ويكفي أن النبي جعل عدم الأخذ على يد الظالم سبباً لعدم استجابة الدعاء حتى

من الصالحين وحلول عذاب عام. ثانياً، أنت أدرى أنه لا سياسة في عالمنا الإسلامي باستقلال عن الدين، ونصيحتك هذه لو أخذ بها الحكام الحاليين وعوام المسلمين وشيوخهم لأمكن إلزام خصومهم والدعاة لواقع سياسي جديد بها. أما أن يكون طاغية المغرب أمير المؤمنين، وطاغية السعودية خادم الحرمين، وطاغية إيران المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، وطاغية مصر طاعته من طاعة رسول الله وانصياعاً للقضاء والقدر، وطاغية سوريا اسمه يُقرَن باسم الله وخشيته في عند أكثر أشد من خشية الله، وهلم جراً، فلا تزعم أن الدين يمكن بلا سياسة أو السياسة بلا دين. هذا لا يعني سوء استغلال الدين طبعاً فهذا كفر، لكن الوضع القائم هو المستغل السيء للدين، والجماعات التي تشنع عليها هي إما مثل وإما أحسن من هؤلاء فلا تفردهم بالنقد وكأنهم ابتدعوا "اللعبة" اليوم من بنات أفكارهم العذراوات.

ه-يذكر الدكتور رواية عن النبي، فوراً بعد ما ذكر فصل الدين عن السياسة ويا للعجب، حديثاً مضمونه قول النبي لأعرابي في وصيته "عليك بالعلانية وإياك والسر".

نقول: أولاً هذا ليس الحديث الوحيد ولا الآية الوحيدة ولا تمثّل كل ما كان عليه الحال في كيفية تنظيم الأمور.

ثانياً، ليكن، حتى الفاطمية كانوا يستسرون لكن سعوا للعلانية بالدولة، ولما صارت لهم أعلنوا وفتحوا معاهدهم لتعليم مذهبهم. فنصيحة النبي غاية أيضاً، بمعنى أن غاية الجماعة السرية يجب أن تكون في المحصلة النهائية إعلان كل شيء وإظهاره. وهذا فعل النبي أيضاً. والدكتور نفسه روى عن أم علي بن أبي طالب أن النبي قال لها قبل أن يُبعَث أن تكتم عليه نصيحته لها بعدم تقديم قربان لهُبَل حين كانت حاملة بعلي، فأمرها بالكتم عليه إذن، ثم استسر بالدعوة ثم أعلن. فيمكن أن يكون الكتم والاستترار أولاً بشرط الإعلان آخراً، فلا ينقض هذا النمط من الفهم والعمل وصية النبي. وحسب علمي، حتى الماسونية في أبشع صورها عند خصومها أنفسهم يعترفون بأن غاية الماسونية إعلان الأمر حين يظهر الدجال ليحكم العالَم، حسناً ليكن ذلك، فهذا إقرار منهم بأنه حتى الماسونية تسعى للخروج من السر إلى العلن في الوقت المناسب، فالمسألة توقيت والكل متفق على وجوب الإعلان. العباسيون أيضاً أسروا ثم أعلنوا. الأميون كانوا يخططون للاستيلاء على الأمة منذ فتح مكة على قول بعضهم. العلويون بأصنافهم أسروا ثم أعلنوا ثوراتهم. الصوفية من أهل طريقك ابن عربي كانوا يسرون ثم حين جاءت الدولة العثمانية وحرستهم صاروا يدرسون العرفان ويعلنونه وداود القيصري شارح الفصوص الأبرز كان مدرساً بتعيين السلطان العثماني. إذن نعم، الكل يسر

ثم ينتظر القوة ليعلن. لكن الإعلان وقت الضعف وقبل الأوان هو محل النزاع، والدكتور لم يفصل فيه بل خلط الأوراق.

ثالثاً، معنى الإعلان والسر في الحديث وبقرينة ما رواه الدكتور عن عمر بن الخطاب بعدها من ذكر عدم عمل شيء إذا نُشر فضحك، معنى ذلك قد يكون متعلقاً بالأعمال الشخصية وليس التنظيمية الكبرى. ويساعد على ذلك أن هذه النصيحة من النبي كانت لأعرابي، يعني فرد بدوي يعيش في الصحراء. فيحتمل بقوة أن المقصد ليس أكثر من عدم عمل شيء شخصي كالذنوب مما تستحي منه لو صار معلناً. وعلى هذا الاحتمال القوي يبطل استدلال الدكتور الجازم على الباطنية والجمعيات السرية به. ووجه آخر أنه من الطبيعي أن لا ينصح النبي ولا عمر مسلماً بالانضمام لأي عمل سري كيف وهو تابع للنظام النبوي والنظام العمري المتمكن الظاهر الغالب، فالخلاف ليس في مَن هذا حاله.

و-يقول الدكتور أن المؤمن ليس ذا وجهين ولسانين وبرنامجين، واحد للظاهر والإعلام والناس وواحد للباطن.

نقول: إذن قد حكمت يا دكتور بتكفير جميع الدول الحالية مسلمة وغيرها، بل وتقريباً كل الشركات التجارية، بل وبخروج كل الناس من الإيمان لأنه لا يوجد إنسان إلا ولابد أن يجامل ويداري ويعاشر الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم وبقدر الصلة بينه وبينهم، وكل إنسان لديه برنامج لنفسه وعائلته يختلف ولو بدرجة ما عن علاقاته مع بقية الناس. فكلامك هذا على إطلاقه لو صدق لكفر الناس جميعاً.

ثم يذكر قصة عن شخص من هؤلاء زاره في بيته وهو من هؤلاء الانتهازيين وأعلن الدكتور استنكاره لكلام ضيفه الذي حسب قوله أعلن له خطته الانتهازية البحتة. أقول: لا أدري كيف أعلن لك قصده الحقيقي وأنت لست من منظمته السرية الانتهازية ! والمخرج الوحيد عندي أن هذه القصة تشهد لما قررته من قبل، وهو أن هؤلاء يخفون قصدهم لعدم أمنهم على أنفسهم ولو أمنوا كما أمن هذا الضيف لأعلنوا واستعلنوا ولو لمثلك ممن لا يتبعهم وينكر عليهم. هذا ليس حكماً مطلقاً، لكن القصة التي ذكرتها عليك لا لك.

وأما الحديث الذي ذكره الدكتور عن أبي سعيد، فإن فيه قيد "أخاك"، يعني تحدث أخاك بشيء وأنت كاذب. أقول: حتى هذا له استثناءات ولو من وجه حسب الروايات كالإصلاح بين الناس. لكن الأهم أن الحديث موضوعه الأخوة وليس الأعداء المعتدين. لا يجوز العدوان على الأخ لكن يجب قتال الفئة الباغية قرءاناً ولو كانوا إخوة في الإيمان العام لبغيهم، كذلك هنا، تحدث أخاك المسالم بشيء وتكذب شيء وتحدث مجرم مُخبر وسفاك وعبد طاغية شيء آخر.

أيضاً يجعل الدكتور من خصائص الجمعات السرية والباطنية عبر التاريخ أنها تقول للخاصة أتباع التنظيم ما لا تقوله للعامة. أقول: هذا وصف كل الدول التي تدافع عنها يا دكتور، بل مدراء الشركات يقولون فيما بينهم وفي مجلس الإدارة ما لا يقولونه للعامة من موظيفهم فضلاً عن عامة الناس. والصوفية وأنت تحبهم على ما أظن، كثبراً ما يكشفون للخاصة ما لا يكشفونه للعامة لأسباب كثيرة، ويتكلم المشايخ العارفين فيما بينهم بما لا يجيزون التحدث به عند العوام. بل الغزالي الذي تحبه وتعظمه كان يدعو إلى "إلجام العوام عن علم الكلام"، مما يعني أيضاً أن تفاصيل المسائل الكلامية يمكن التحدث بها مع الخواص والعلماء وليس مع العوام. وإني لأحسب أنه لا توجد أسرة يتحدث فيها الزوجان مع أولادهما بنفس ما يتحدثون به بينهما وخصوصاً إن تعلق بمخططات العائلة وظروفها الخاصة. جعل كل الناس طبقة واحدة في عرض كل شيء قد يكون حلماً جميلاً، إلا أنه لا واقع له بعد.

وأما استشهاد الدكتور بعمر بن عبدالعزيز بقوله "إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم من دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة" فأقول: أولاً، هذه الكلمة في الدين يعني الكلام في الدين، بينما موضوع الجمعيات السرية وباعتراف الدكتور هو "تغيير النظام السياسي"، فسرعان ما خلط الدكتور ما بين الدين والسياسة ! ثانياً، لابد من تقيّد هذه العبارة بحالة غياب الإكراه في الدين، وإلا نقضت ما هو أولى منها. ثالثاً، لو أخذتها حرفياً يصبح كل مذاكرات ومباحثات شيوخ وعلماء الدين في تفاصيل وأعماق وخلافات المسائل فيما بينهم وبعيداً عن أعين وأسماع العامة يكون ضلالة في ضلالة، وهو كما ترى. رابعاً، من الطبيعي لأمير أموي رضي بالتأمر على المسلمين بغير رضاهم ووراثةً بعهد ملك مغتصب قبله أن لا يكون متحمساً لأي شيء له علاقة بالسر وخصوصاً بالدين الذي كان تغيير الرأي فيه بداية تغيير الولاء السياسي في ذلك العهد.

ثم يقول "الدين ليس فيه أسرار" فالأمور كلها واضحة. أقول: إذن لا تقرب الصوفية وتلصق نفسك بها فالقوم يقولون بأن للدين أسرار. ثم التزم بأنك تعرف من الدين ولديك من العلم كما كان لدى النبي وعلي وإدريس والخضر، لأن المصحف بين يديك، فانظر ماذا ترى وقبل ذلك انظر ماذا تقول. ثم قول أبي هريرة في البخاري أن لديه وعاء من العلم بثه ووعاء لم يبثه ليحفظ بلعومه، فيبدو أنك ضربت به عرض الجدار. وأما توعد الله على كتم البينات والعلم فلا أدري ما فائدته إذا كانت الأمور واضحة كما تقول. لم أسمع تسطيحاً مثل هذا للدين إلا من الوهابية، ويبدو أن هذه الجرثومة هي التي جعلت الدكتور ينزلق للتعامل مع دولتهم بعد ذلك، نسأل الله السلامة والعصمة وتذكيرنا بمعنى قول النبي عن القرءان "ظاهره أنيق وباطنه عميق". عميق يا دكتور.

١٥-ختم خطبته بذكر ما يراه خصائص تميز المنظمات السرية "في الشرق والغرب"، وخص بالذكر قراءة تاريخ الحشاشين يعني جماعة الحسن بن الصباح الاسماعيلية النزارية، والماسونية. فتعالوا ننظر بإذن الله لعلنا نجد نوراً في هذه الخطبة التي من أولها إلى آخرها شبهات وظلمات وأربا ع حقائق وأسداس وقائع-مجازاً.

أ-يقول أول عامل السرية. ويقول في جو السرية تنمو جميع الرذائل الخلقية والعقدية والمسلكية، وأن هذا حدث مع الجميع. أقول: هذا ليس طعناً في السرية لذاتها ولكن لما تراه لازماً عنها وهو الرذائل وتشبهه بالتعفن في الظلام. لا اللازم لازم، ولا المثل لازم. فالرذائل بحسب المنظمة وأفرادها لا للسرية لذاتها، بل قد تكون السرية داعية لاصطفاء أبعد الناس من الرذيلة تحديداً حتى لا تحدث فضائح، يكفي أن الماسونية رسمياً لا تقبل طلب انضمام من له سابقة جنائية بينما الكنيسة الكاثوليكية العلنية لديها من مغتصبي الأطفال ما تنافس به الجماعات السرية والعلنية معاً. والمثل غير لازم، لأن الشجرة تنمو من بذرة مدفونة في الظلام لكن البذرة لا تثمر إن وضعتها على الحجر لتحرقها الشمس الساطعة. ثم انظر حيث شئت في المنظمات العلنية والدول الرسمية وحدث الناس من اليوم إلى يوم القيامة عن رذائلها وجرائمها وفسادها، ثم قارنه بالمنظمات السرية ثم احكم بإنصاف لترى هل الرذيل رذيل لأنه رذيل أم لأنه من جماعة سرية تحديداً. ثم قد اعترفت في محاضرتك عن ابن الصباح أنه كان عالماً زاهداً متقشفاً في نفسه ومع أهله متعففاً عن مال الناس، هذا وهو رأس الجماعة السرية، فاذهب وقارنه مع ملوك وأمراء وشيوخ ورؤساء المنظمات "العلنية" التي تدافع عنها وقارن أيهما أعرق في الرذيلة وأغرق في النذالة.

ب-يقول: التركيز على الشيخ والأستاذ والإمام، وأنه فائق في الأخلاق والعلوم والقدرة.

أقول: يكفي في الرد على هذه النقطة ما زلّ به لسانه حين قال "ما ضلّش غير يقولوا عليه صلى الله عليه وسلم". نعم، هذا رمي مباشر للمسلمين أتبا ع النبي أنهم كانوا يعظمونه بنحو أكبر من تعظيم الباطنية لشيخهم! يعني الباطنية مذمومون عند الدكتور، لماذا؟ لأنهم يكادون يعظمون شيخهم كتعظيمهم للنبي ! الله الله، فهل تعظيمنا للنبي إذن نوع من الهوس الباطني الماسوني أيضاً ونحن نشترك معهم في هذه الخاصية بل نزيد عليهم فيها وهم يكادون يبلغون تعظيمنا للنبي؟! لو أراد شخص ذم المسلمين بوصفهم يغالون في محمد لكفاه هذا المقطع لإلزامنا. بل لدينا في السيرة وصف القرشي لعلاقة أصحاب النبي بالنبي، وقال بأنهم

يعظمونه أكثر مما يعظم الأقوام ملوكهم ومن ضمنهم كسرى وقيصر. انظر تعظيم المسلم للنبي والصحابة وأهل البيت ثم احكم. الفرق أن أكثر الناس لا يبالي بالتعطيم المجاني، يعني تعظيم الموتى والهيام بعشقهم لأن هذا لا يكلفهم شيئاً ويلهب عاطفتهم. لكن تعظيم رجل حي في عصرهم، هذا ما يزعجهم ولا يستهويهم.

ثم انظر في تعظيم العوام لحكامهم وملوكهم ورؤسائهم، وفي تعظيم المريدين والتلامذة لشيوخهم وأساتذتهم حتى نسبوا لهم الكرامات والعبقريات، بل انظر يا دكتور في ما يكتبه المعجبون بك في صفحتك، ثم قارن هذا بما تذم به الباطنية.

ثم ذمك الماسونية بأنه لديهم مصطلح "الأستاذ الأعظم"، فلا أدري ما رأيك مثلاً بلقب "الإمام الأعظم" و "الشيخ الأكبر" و "الإمام الأكبر" و "الصدّيق الأكبر" و "الفاروق الأعظم" و "المجتهد المطلق" و "شيخ الإسلام" و "قاضي القضاة" و "جلالة الملك"، لأني أعرف أناساً وأظنك تعرفهم ولعلك منهم ممن يقبل بمثل هذه الألقاب فيهم ولهم ويسكت عنها وعنهم وعن من تدل عليه. فهل إنصافك هو الذي حرّكك لبغض لقب "الأستاذ الأعظم" أم تعصبك. وأما كون "أستاذية العالَم" شيء مخيف، فلا أعرف كيف لم تزهق روحك رعباً حين عملت في السعودية الوهابية الذين فيهم من يسمي ابن عبدالوهاب "شيخ الوجود"، لعل الأعصاب تتلف فقط حين تكون الأعظمية لنا ومنا وليست لغيرنا.."زيتنا في دقيقنا" كما يقول إخوتنا في الحجاز.

ج-الخاصية الثالثة حسب قوله هي ادعاء الأتباع الباطنيين في شيخهم أنه "احتكر الحقيقة المطلقة". "بتكون معاه أنت من أهل الحق" وإلا فلست من أهل الحق.

أقول: الدكتور يلصق مصائب الأمم بالباطنية وكأنها من صفاتهم الذاتية التي لا شريك لهم فيها. اتق الله يا رجل، نسيت كل أمم الأرض وأهل الأديان والمذاهب "العلنية" كعلانية الشمس الذين يدعون احتكار الحقيقة المطلقة، وجعلت هذه سمة مميزة للباطنية.

لماذا تذهب بعيداً، في دار الإسلام، وفي المذاهب السنية والعلنية، أليس هناك ادعاء لاحتكار الحقيقة. أليس الغالبية العظمى من المسلمين يعتقدون بأنه من كان مع النبي والإسلام فهو في الجنة وإلا فهو في النار، ولذلك لما جئت أنت برأي نجاة أهل الكتاب قاموا عليك وقام عليك من الأشاعرة قبل غيرهم. ثم انظر لتعصب أصحاب الفرق والمذاهب لشيوخهم وسترى الاحتكار على أصوله. وأنت تعرف هذا لكن مجادلتك أنستك ما تعرف.

أنت نفسك في رأيك هذا ضد الباطنية تدعي أن الظاهرية هم الذين احتكروا الحقيقة المطلقة ! فيا سبحان الله ماذا يفعل الجدل المتسرع بالعقل.

د-يزعم الدكتور أن الباطنية لا يحبون الأذكياء وذوي الحس النقدي "أبداً".

أقول: يكفي أن تضع أمامك قائمة بأسماء كبار المفكرين والأدباء من الماسونية في الغرب، وتضع أمامك كتب كبار الإسماعيلية في الشرق، لترى هل هؤلاء أذكياء أم أغبياء. القائمة طويلة جداً وفيها أسماء مثل فولتير وبنيامين فرانكلين، والكرماني وهبة الله الشيرازي وصاحب الموضوع الحسن الصباح ذاته.

ه-يرى الدكتور أن من خصائصهم "الطاعة المطلقة".

أقول: على فرض ذلك، هذا ليس من خصائصهم وإلا لوجب عليك الحكم على أهل الشام أيام الأمويين مصدر مقولة "الطاعة الشامية" وبقية من تابعهم، والحكم على الوهابية الجامية وغيرها، أنهم على ذلك الأمر أيضاً.

تنفيذ الأمر بالقتل لا يصح إنكاره مجملاً، لأنه قد يكون بحق وبغير حق. والجنود في دول اليوم يقتلون أيضاً بحسب الأوامر العليا، والجنود عموماً هذا شأنهم. وقد قتل الصحابة أقاربهم بالحق.

فما الذي تقصده ب"المطلقة" تحديداً هنا؟ لم يحرر الدكتور ذلك.

و-يقول من خصائصهم "التراتبية" الهرمية أياً كان عددها.

أقول: "يأيها الذين ءامنوا" مرتبة دنيا. "أطيعوا الله" مرتبة عليا. "وأطيعوا الرسول" مرتبة وسطى. "وأولي الأمر منكم" ما بين الوسطى والدنيا. هذه أربع مراتب. تكفي؟ حسناً، لنجرب مرة أخرى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا" مرتبة، "للذين هادوا" مرتبة ثانية، "والربانيون" مرتبة ثالثة، "والأحبار" مرتبة رابعة. تكفي؟ لنرى أصلاً "هم درجات عند الله"، "خيركم من تعلم القرءان وعلمه" فيوجد خير ودونه. ثم ماذا عن "أمير المؤمنين"، فهنا مرتبة أمير وتحتها مرتبة مأمور.

ماذا عن مراتب الدولة، ومراتب موظفي الشركة، ومراتب شهادات الجامعة (دكتور مثلاً؟)، مراتب الجيش، مراتب الموظفين في مطعم ماكدونالدز أو حتى مطعم فول وطعمية، فهل هذه مقبولة أم أنها رمز باطني أيضاً؟

نعم سيقول بعدها مميزاً بين الهرمية الباطنية وغيرها بأن معيار مراتب الباطنية ليس الأهلية والاستحقاقات الفطرية وما أشبه. أقول: هذا أولاً إقرار منك بقبول الهرمية من حيث المبدأ. ثانياً، كلامك مردود بواقع استمرار ونجاح أهل التنظيمات الباطنية، فلولا كفاءتهم وحسن توزيعهم المناصب والدرجات لما رأينا هذا الدوام والإتقان في العمل الذي أرعب ولا يزال

يرعب الكثير من الناس من شدة إحكامه. ثالثاً، تعريف الأهلية يتبع نوعية التنظيم ومقصده، وهذا في كل المنظمات، فلا يوجد معيار موحد لا عند الباطنية ولا الظاهرية. رابعاً، أمامك الدول الظاهرية على مر التاريخ والحاضر الإسلامي السني أيضاً، وانظر مدى الاعتماد على "الكفاءة" المجردة في اختيار أصحاب المناصب ثم احكم هل الفساد في التعيين خاصية باطنية أم بشرية. وأما قولك بأن مدى الإخلاص للبرنامج الباطني هو المعيار الوحيد، فقطعاً الإخلاص والولاء شيء يبحث عنه كل صاحب برنامج باطني وظاهري ودنيوي وأخروي وهذا في الإسلام كثير وهل ارتفع علي وسواه بغير إخلاصهم واستماتتهم من أجل مقاصد برنامج النبي إن شئت. لكن ليس الإخلاص وحده، وإلا فالفدائي عند ابن الصباح كان في أدنى مرتبة بالرغم من أنه مستعد للموت في سبيل القضية.

ز-ينقل عن مؤرخ للحشاشين أن غاية كل هذه التنظيمات هي حشد عدد كبير من الناس لتحقيق مخطط لا يعرفون ما غايته. يعني العامة تطيع ما لا تفهم.

أقول: إذا كنت أنت يا دكتور تعرف أن غاية التنظمات هو مجرد الاستيلاء على الحكم وتغيير النظام السياسي كما تقول، فكيف عرفت أنت ومن معك الخطة والمقصد النهائي وحصلت على الجمل بما حمل، لكن تزعم أن أتباع تلك المنظمات والذين دخلوها طوعاً وعن قناعة بل ومع تعريض نفسهم لخطر نقمة وسطوة الدولة والعامة معاً، ومع ذلك تنسبهم إلى الجهل بمقصد الدعوة والحركة، مقصد عرفته أنت وأنت في مكتبك تطالع أوراقاً وتحلل ألفاظاً. دعوى عريضة جداً.

ح-ميزة أخرى حسب قوله هي أخذ التبرعات من أعضاء الأخوية.

طيب، ما المشكلة؟ زكاة، خُمس، مرباع، ضريبة، اشتراك نادي رياضي، جمعية، إلى آخره، كلها أموال يدفعها الناس لتنظيم جماعة وعمل مشترك ما. إلا أن الباطنية والماسونية لا يُكرهون أحداً على الدفع، وقطعاً لا يقتلون الناس لأخذ زكاة منهم لا يريدون دفعها كبعض من تعرفهم.

وأما قولك "عند الجَد بدّك تضحي بكل ما تملك"، فنعم مثل تضحية بعض كبار الصحابة بكل مالهم حين جد الجد عند غزوة تبوك.

ط-يقول "توسل العنف" واغتيال شخصيات مهمة.

أقول: هذه ليست خاصة أيضاً بالباطنية، وتاريخ الدول الظاهرية وفتاوى فقهاء المذاهب بقتل المتكلمين والمخالفين أكثر من أن يحصيها غير رب العالمين. إلا أن فضيلة الباطنية مقارنة بغيرهم أنهم لم يقتلوا وباعترافك إلا "الشخصيات المهمة"، بينما الطغاة الذين تدافع عنهم مباشرة وغير مباشرة فهؤلاء قتلوا وأهانوا الشخصيات المهمة وغير المهمة على السواء.

ي-يقول أن بعض هذه التنظيمات كانوا يأخذون الأطفال ليربوهم على برامجهم الخطيرة.
أقول: نعم، مثل سبي صغار الأمم بالحرب وجعلهم مسلمين. ومثل أخذ العثمانيين للصغار وجعلهم جنود انكشارية. وهؤلاء ظاهرية كما ترى.

وبهذا ختم ونختم. والخلاصة: الخطبة من أولها إلى آخرها معيبة. والتحدث بعاطفة وحرقة لا يغني من الحق شيئاً. ونسأل الله العافية والهداية.

...
نقدي لمحاضرة عدنان إبراهيم (قرامطة وماسون. تاريخها ٢ سبتمبر ٢٠١٩)

١-وجدته متحامل كثير على الباطنية وحسن الصباح، ونظر له بعين مافيها أي نوع من التفهم، وذكّرني بنظرة الملحدين والمسيحيين للنبي عليه السلام لما يفسروا كل خطوة عملها بتفسير إما "قصده سياسي وخداع الناس" وإما "مجنون مهووس يعتقد بذاته بشدة" وما أشبه.
لم ينتقد عدنان على عادته الآراء في المسألة. مثلاً خرافة الحشيش والجنة. وكذلك لم يحقق في مسألة وجود الباطن في القرءان والدين. ومن أغرب ما سمعت أنه بيترحم على طواغيت السلاجقة الجبابرة. وغيره وغيره.

٢-فكرة إعجابه بطريقة ابن حنبل ومالك الي أكلوا هوا من جبابرة زمانهم، ودعوته الناس أن يكونوا مثلهم يعلنوا كل شيء ثم ياكلوا هوا ويسكتوا وينذلوا مثل هؤلاء.

٣-تبريره للحكم السلجوقي وهو فرع العباسي، مع تغافله (مع اعترافه بهذه الحقيقة على عجالة) عن أن الدعوة العباسية مثل الدعوة الباطنية كانت سرية، بل تغافله عن أن كل الدول حتى اليوم خصوصاً في دول المسلمين هي أصلاً قائمة على السرية وعامة الناس فيها مجرد "لصقاء وفدائيين" بشكل ما للحكومة التي لها رئيس وأتباع مقربين وهوم سلطة وكل هذا لا يدري العوام ما يحدث فيه لأنها "أسرار الدولة".

٤-اعترافه بعلم وعقل وزهد وورع الحسن بن الصباح حتى مع بناته وأولاده، وطول فترة حكمه. وهذا شيء لا يوجد عُشر معشاره عند طواغيت ذلك الزمان الذي ترحم عليهم عدنان ولا هذا الزمان طبعاً.

٥-حين شرح إرسال ملكشاه السلجوقي لرسوله لابن الصباح وأمره إياه بأن "يدخل في بيت الطاعة"، لم ينتقد عدنان هذا على أساس ليبرالي وعدم جواز الخضوع للعنف والقهر السياسي.

٦-حين شرح أمر بن الصباح لاثنين من أتباعه بقتل أنفسهم أمام رسول ملكشاه، فسرها بسطحية أنها تعبير عن جنونهم في الخضوع للشيخ. لكن نظرة بسيطة تعطي أنها قد تكون حيلة مدروسة لإرعاب السلاجقة، وضحى هؤلاء بأنفسهم طوعاً من أجل جماعتهم لأن الحرب كانت ستعني ذبح ألوف من أهلهم وإخوانهم، ولا توجد طريقة أخرى لإرعابهم إلا بهذا. تضحية مدروسة كما نرى اليوم في شرق العالم وغربه مفجرين انتحاريين لا يخضعون لحشيشة شيخ الجبل كما يزعمون بل هم مهندسين وأناس سليمي النفوس في العموم لا يشك أحد في عقلهم مثل الفلسطيني قبل أسابيع الذي قتل وقُتِل وهو يعلم أنه مقتول.

٧-اعتباره السرية مرادفة ل"الظلامية"، بدون مراعاة الظروف والواقع السياسي حينها، بل بدون حتى التأمل في قصة أصحاب الكهف بل وما نعرفه عن الدعوة السرية للنبي في أول أمره وتخفي المسلمين "لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم".

٨-اعتباره لمراتب الدعوة أنها "خطوات الشيطان"، هي مجرد وصف كسول وسطحي جداً يشبه ما يقول بعض أشباه المفكرين ولامفكرين من مطابقة رمز العين الواحدة الشمسية مع عين الدجال. هبط عدنان هنا إلى قاع لا يناسب مستواه المعتاد في النظر. فمن جهة تغافل عن أن أي مؤسسة فيها مراتب، دينية أو دنيوية، سواء كانت من مرتبتين أو أكثر. ومن جهة ثانية هو نفسه في مسجده لا نراه عادةً إلا هو وحده يتكلم والبقية كالأنعام يأكلون من رزقه. ومن جهة ثالثة الدول السلجوقية التي ترحم على جبارها أيضاً كذلك لها مراتب، ومؤسسات الأزهر وغيرها كلها لها مراتب. هذا أمر.

٩-أمر آخر، درجات الدعوة منطقية أكثر منها سرية خرافية، بمعنى أنها تقسّم الناس بناء على معيار العلم، ومنطقياً سيكون الناس إما مصدر علم وإما متلقي علم، والمصدر إما يكون

أصلي أو فرعي، والمتلقي إما متلقي يأخذ ويعقل ويفيض، وإما يأخذ ويعقل فقط، وإما يأخذ سطحياً، وإما يصاحب مَن يأخذ، وإما يدافع عن من سبق. وهكذا نجد مراتب الإمام (المصدر الأصلي)، وتحته داعي الدعاة وكبار الدعاة والدعاة، وما تحت ذلك حتى درجة اللصيق والفدائي وهم مثل العوام في المجتمعات عموماً لكن هنا لهم مرتبة معقولة المعنى إلى حد ما.

١٠-ولاحظ أن الفدائي في آخر المراتب. فحتى أقل الناس علماً كان يفدي نفسه في سبيل الجماعة. بالتالي لم "ينخلع" من دينه وما أشبه كما يزعمون. الذي جاء بخرافة الخلع من الدين كآخر مرتبة هو الغزالي والذي كان مجرد موظف (قبل "استنارته") للعباسيين، ويكتب خدمةً لهم كما نرى اليوم شيوخ الوهابية يكتبون لخدمة الدولة التي تربّهم. فأيضاً لم يذكر عدنان هذا الأمر والتحيز الذي فيه. بل لو كانت مراتب الدعوة فيها خلع عن الدين فمال بال ابن الصباح نفسه لم ينخلع عن دينه وتدينه علماً وورعاً لا نجده حتى عند كبار أمراء وفقهاء "السنة" أحياناً.

١١-كتب الإسماعيلية في زماننا هذا منشورة إلى حد كبير، فلم يكلّف عدنان نفسه ولا غيره ممن سمعتهم بقراءتها ونقدها حقاً ورؤية أصولها. وإن كان فد فعل فلم يتبين ذلك في المحاضرة.

١٢-نقطة أخرى، في المحاضرة أضاع وقتاً في الوعظيات العاطفية وخرج عن الموضوع كثيراً، وهي وعظيات جوفاء عموماً لا تحقيق وراءها، فقد كانت تناسب الخطبة أكثر من المحاضرة.

١٣-نعم، وتشبيهه لجماعة الإخوان بجماعة الاسماعيلية فيه أيضاً تشبيه كسول وسريع. أين عمق ودقة وسعة علم الاسماعيلية وإيمانهم الحقيقي بالدين والتدين من ما نراه من سطحية وسخف وتفاهة الإخوان عموماً. ابن الصباح كان لديه مليون كتاب ويقال أن الأدب الفارسي تأثر به وتطور بسببه من بعده، سواء صح أم لا، فإن الناظر في كتب الاسماعيلية والناظر في كتب الإخوان مثلاً يجد فرقاً ما بين السماوات الع وما تحت الثرى. وبالنسبة للدولة، فالفاطمية صنعت واحدة من أقوى وأعمق الدول في العلوم وبقيت لقرون ولازالت مصر متأثرة بها إلى اليوم في بعض النواحي بعد ألف سنة، بينما الإخوان فهباء منثور وسطحية تجلب الاشمئزاز لمن كان له قلب. الاسماعيلية لهم مشاركة قوية في العرفان الإلهي والفلسفة، الإخوان كبّري عليهم في هذا الباب أربع تكبيرات.

١٤-وأمر آخر: صلاح الدين الأيوبي. يعظمه الناس ومنهم عدنان كما أحسب. هذا الرجل تغلغل على طريقة "الباطنية" التي ينتقدها عدنان في جماعة ابن الصباح، تغلغل في الدولة الفاطمية وتوظف عندها ثم عندما دقت ساعة الصفر انقلب على ملكها وغدر به. ثم دمّر كتب مكتبتهم -جازاه الله بعدله ودمّر حسناته. ثم تغوّل السلطة وقسم دول المسلمين على أولاده كضيعة أو حظيرة بقر. ومن مخازيه الكبرى بل جرائمه التي عليها لعنات وغضب إلهي في القرءان، أنه أمر ابنه ملك حلب بقتل العالِم الرباني والشيخ الإشراقي والولي الصوفي شهاب الدين السهروردي رحمه الله ورضي عنه، لمجرد كلام صدر منه بل لمجرد خوف من "إفساد عقيدة" ابنه، وبسعاية وتحريض من فقهاء الدنيا الذين كانوا حول ملك حلب ورأوا فشلهم وصغارهم حين تجلى لهم شيخ الإشراق، فلم يبالي الأيوبي الجلف الغادر وأمر بقتله عدواناً وظلماً لعنه الله ولعن من نفذ أمره. الآن هذا السافل المجرم، الجبار العنيد، لأنه قاتل الصليبيين وانتصر لدولته هو التي أراد توريثها لأولاده، والذي عمل بالمكر والحيلة والغدر وتحريق الكتب وما إلى ذلك، هذا يرونه قائداً ملهماً، ويصبح شيخ الجبل ابن الصباح بالمقارنة هو الماكر الشيطاني.

١٥-نعم، ابن الصباح كان ينفذ عمليات اغتيال مدروسة لرؤوس أعدائه الذين يريدون تدميره. لكن، عدنان وغيره أغفلوا أمور. منها أن الصباح كان معه ٢٠ ألف بالكثير، يعني بعدد سكان قرية أو بلدة صغيرة عند الجبابرة الذين كانوا يحاربونه ويحاربهم، فالمواجهة المباشرة مستحيلة واقعياً وغبية سياسياً. ثانياً، النبي نفسه كما يروون أمر باغتيال كعب بن الأشرف حين تآمر مع قريش لحرب النبي، وهم يصححون هذه الرواية، بل بعضهم يرى أن قتل بن الأشرف كان ليس لتآمره الحربي بل لمجرد أنه تكلم بشعر وتغزل بالمسلمات (ولذلك يحتج بها السبكي في فتواه بقتل شاتم النبي، والسبكي من كبار الشافعية حتى عند عدنان)، فإن أجازوا الاغتيال بسبب الحرب كان عمل الصباح مبرراً وإن أجازوه لمجرد الكلام فالأمر أهون. ثالثاً، الملوك الذين كان يغتالهم ابن الصباح كانوا ليس فقط يغتالون بل يذبحون ويعذبون ويقهرون ويستعبدون أمم لا يحصيهم إلا مَن أحصى كل شيء عدداً جل وعلا.

١٦-مثلاً الأيوبي، حاول ابن الصباح اغتياله مرتين، وقد رأينا كيف أن هذا الجبار أمر بذبح عالِم مسالم كالسهروردي بكل دم بارد ولم يحاول حتى تبرير ذلك بأنه فعلاً ارتكب جريمة قتل مثلاً. والأيوبي نفسه غادر محتال كما رأينا فعله مع الدولة الفاطمية. شخص مثل هذا، هل من الغريب أن يسعى باغتياله سراً للتخلص من شره عليه. إذا كان يقتل العلماء المسالمين ويحرق كتب المخالفين، فهل سيحترم ابن الصباح ! هذا ليس من العقل ولا حتى الجهل.

١٧-ونختم بنقطتين:
الأولى عن موضوع الاغتيالات. تصوري لو أن زلنسكي رئيس أوكرانيا اليوم يقرر بعث جاسوس لاغتيال بوتين السفاح المجرم الطاغية الذي يقتل الصحفيين عنده والمخالفين له ويعذب ويفعل الأفاعيل، وهو فوق ذلك يعتدي على أكرانيا. تصوري لو بعث له من يغتاله لأنه رئيس دولة أكبر منه وأقوى ويريد التخلص من شره، فهل يكون بهذا عمل عملاً سيئاً لا يُغتَفَر أم هو مجرد شخص يدافع عن جماعته. هذا حال الصباح مع ملوك ووزراء ذلك الزمان.

١٨-الأمر الثاني، اسم "الباطنية". عموماً وقرءانياً، الذي يميّز المؤمن عن الكافر هو أن المؤمن باطني بينما الكفار "يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون". والذي يميز المؤمن عن المنافق المسلم هو أيضاً الجانب الباطني واقرأي آيات "فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب" . فتسمية "الباطنية" جوهرياً لا عيب فيها بل هي تسمية حسنة ودقيقة لتمييز المؤمن عن الكافر والمنافق. فالمؤمن باطني في الحياة وباطني في الدين. ويبقى الخلاف في تحديد معنى "باطني" فيكون خلافاً فرعياً لا أصلياً. حتى السلفي الوهابي يعترف بأنه يوجد "باطن صحيح" وباطن غير صحيح وأن السلف اعترفوا بالباطن الصحيح. السنة أيضاً والصوفية منهم خصوصاً كلهم يقولون بالباطن في الدين عموماً. فالخلاف إذن ليس في كونك باطني، لكن في تعريفه وتدقيقه. وهذا أمر ميسور بعد الاتفاق على الأصول بإذن الله. هذه أيضاً مسألة لم يتطرق لها عدنان في المحاضرة وهو تقصير فظيع، لأن المحاضرة عن الباطنية.

١٩-الخلاصة: المحاضرة سخيفة من أولها إلى آخرها من ناحية آراء عدنان. والشيء الوحيد المفيد فيها هو المعلومات التاريخية البحتة التي ذكرها، وكذلك إظهار أن التعصب يُعمي حتى مدعي التجديد والفلسفة.

....انتهى والحمد لله.